الباب السابع

فضائل رمضان

رمضان شهر نزول القرآن والكتب السماوية

يا له من شهر طيب اختاره اللّٰه لنزول الكتب السماوية فيه .

عن واثلة بن الأسقع عن رسول اللّٰه ﷺ : « **أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان** »[١] .

قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ [القدر : ١] .

وقال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ [الدخان : ٣] .

قال ابن جرير الطبري : « نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد اللّٰه إنزاله إليه » .

عن ابن عباس قال : « أنزل القرآن جملة من الذكر[٢] ، في ليلة أربع وعشرين من رمضان[٣] فجعل في بيت العزة .

وعن سعيد بن جبير : نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان فجعل في سماء الدنيا .

وعن ابن عباس : أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا ، جملة واحدة ، ثم فرّق في السنين بعدُ . قال : وتلا ابن عباس هذه الآية : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ [الواقعة : ٧٥] قال : نزل مفرقاً[٤] .

---

(١) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن واثلة ، وأحمد في « مسنده » ، وابن عساكر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٥٠٩) .

(٢) أي اللوح المحفوظ .

(٣) وهي عند ابن عباس ليلة القدر والوتر من العشر الأواخر كما يقول ابن تيمية قد يكون باعتبار ما مضى من الشهر أو باعتبار ما بقي .

(٤) « تفسير الطبري » (٢ / ١١٤ - ١١٥) طبعة مصطفى الحلبي .

أنزل القرآن بفرض صيامه قاله مجاهد والضحاك .

أنزل في فضله القرآن : قاله سفيان بن عيينة[1] .

والقرآن : « كتاب هذه الأمة الخالد ، الذي أخرجها من الظلمات إلى النور فأنشأها النشأة وبدَّلها من خوفها أمناً ، ومكَّن لها في الأرض ، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة ، ولم تكن من قبل شيئاً ، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ، ولا ذكر في السماء ، فلا أقل من شكر اللّه على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل في القرآن »[2] .

القرآن كتاب هذه الأمة ، هو روحها وباعثها ، وقوامها وكيانها ، وهو حارسها وراعيها ، هو بيانها وترجمانها ، هو دستورها ومنهجها ، وهو زاد الطريق .

ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل في حسنا ، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي ، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة ، وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك .

سيظل هناك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهومة ، لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية ، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوساً ووقائع وأحداثاً حية ، لقد خاض بهذه الأمة معركة كبرى حوَّلت تاريخها وتاريخ البشرية كلها معها ، ولكنه مع هذا يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة ، وكأنما هو يتنزل اللحظة الأخيرة لمواجهة الجماعة المسلمة في شئونها الجارية وفي صراعها الراهن ، وفي معركتها كذلك في داخل النفس وفي عالم الضمير »[3] .

« آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء هي منها كواكب ، بل الجند

---

(١) « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٧٣) .

(٢) « الظلال » (١ / ١٧١ - ١٧٢) .

(٣) من وحي القلم .

الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم وانضوت إليه من الأرواح مواكب ، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها ، وامتنعت عليه أعراف الضمائر فابتز أنفالها »[١] .

كم صدوا عن سبيله صدّاً ، ومن ذا يدافع السيل إذا أهدر ؟ واعترضوه بالألسنة ردّاً ، ولعمري من يرد على الله القدر ؟

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة متى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حمى القلوب .

معانٍ هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، ترف بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتخلق في أرواحها من معاني العبرة معنى العبير .

يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطرات الماء ، ويتصل بالروح فإنما يمد لها بسبب إلى السماء .

ألفاظ لم تعهد كلم أحداقها ، وثمرات لم تنبت في قلم أوراقها ، ونور عليه رونق الماء فكأنما اشتعلت به الغيوم ، وماء يتلألأ من النور فكأنما عصر من النجوم .

وهل رأوا إلا كلاماً تضيء ألفاظه كالمصابيح ، فعصفوا عليه بأفواههم كما تعصف الريح ، يريدون أن يطفئوا نور الله وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تذهب تطفيه ، ونور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها كأنما يخفيه ! وهيهات هيهات دون ذلك درج الشمس وهي أم الحياة في كفن وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن .

لا جرم أن القرآن سر السماء ، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول ، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون ، وظلت

---

(١) المراد : « أن ضمائر العرب امتنعت عن القرآن بما استوعر فيها من العادات والأخلاق فنفذ إليها وابتزها وغلبها على أمرها » .

آياته تلقف ما يأفكون ، ﴿ **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون** ﴾[(1)] [الأعراف : ١١٨] .

نزول القرآن على قلب نبينا ﷺ أعظم النعم

قال تعالى : ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ الآية [العنكبوت : ٥١] .

أولم يكفهم أن يعيشوا مع السماء بهذا القرآن ، يشعرهم أن عين اللَّه عليهم ، وأنه معنيٌّ بهم يتنزل عليهم ، يحدثهم بما في نفوسهم ، وهم هذا الخلق الصغير الضئيل التائه في ملكوت اللَّه الكبير .

واللَّه بعد ذلك يكرمهم حتى لينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ثم هم لا يكتفون إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون .

الذين يؤمنون هم الذين يجدون مسّ هذه الرحمة في نفوسهم ، وهم الذين يتذكرون فضل اللَّه وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلي الكبير .

وهم الذين ينفعهم هذا القرآن ، لأنه يحيا في قلوبهم ، ويفتح لهم عن كنوزه ، ويمنحهم ذخائره ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور .

الإيمان بكلام اللَّه والعيش معه طمأنينة في القلب وإستقامة على الطريق ، وثبات على الدرب ، وثقة بالسند ، واطمئنان للحمى ، ويقين بالعاقبة .

قال تعالى : ﴿ **قل بفضل اللَّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ **اللَّه نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر اللَّه ذلك هدى اللَّه يهدي به من يشاء ومن يضلل اللَّه فما له من هاد** ﴾ [الزمر : ٢٣] .

---

(١) « إعجاز القرآن » للرافعي من (٢٩ - ٣١) .

الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتذكيه .

أي تكريم للإنسان يفوق هذا التكريم العلوي الجليل .

﴿ **الحمد للَّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا** ﴾ [الكهف : ١] . أي نعمة أعظم من نعمة نزول القرآن .. نعمة لا يسعها حمد البشر فحمد اللَّه نفسه على هذه النعمة .

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ، أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان القليل الصغير خالقه الكريم .

قال تعالى : ﴿ **وأنزل اللَّه عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل اللَّه عليك عظيماً** ﴾ الآية [النساء : ١١٣] .

هي منة اللَّه على الإنسان في هذه الأرض .. المنة التي ولد الإنسان معها ميلاداً جديداً ، ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة .

المنة التي التقطت البشرية من سفح الجاهلية لترقى بها في الطريق الصاعد إلى القمة السامقة على طريق المنهج الرباني الفريد العجيب .

المنة التي لا يعرف قدرها إلا الذي عرف الإسلام والجاهلية جاهلية الماضي والحاضر .

وإذا كانت منة يذكر اللَّه بها رسوله ﷺ فلأنه أول من عرفها ، وذاقها وأكبر من عرفها وذاقها ، وأعرف من عرفها وذاقها ، قال تعالى : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ الهدى حقيقته ، والهدى طبيعته ، والهدى كيانه ، والهدى ماهيته ، القلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال قيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش قيمة الاستقامة على الدرب بعد الحيرة ، قيمة الطمأنينة للحق بعد الأرجحة ، قيمة التحرر من العبودية للعبيد بالعبودية للَّه وحده ، قيمة الدرب المستقيم بدلاً من التخبط في المنعرجات المظلمة ، كما يشفق من ذاق نداوة الظلال أن يعود إلى الهجير القائظ والشواظ .

وفي بشاشة الإيمان حلاوة لا يدركها إلا من ذاق جفاف الإلحاد وشقاوته المريرة ، وفي طمأنينة الإيمان حلاوة لا يدركها إلا من ذاق شقوة الشرود والضلال »[1] .

لقد سمى اللَّه كتابه روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه « واعجبا للناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد وموت القلوب بالبعد عن علَّام الغيوب » .

وسماه نوراً لأن القلوب لا تضيء ولا تشرق إلا بالقرآن .

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من اللَّه نور وكتاب مبين يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

ليس أدق ولا أصدق ولا أدل على القرآن من أنه نور ، نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف .. ويشرق به كل شيء أمام ثقلة الطين في كيانه ، وظلمة التراب ، وكثافة اللحم والدم ، وعرامة الشهوة والنزوة ، كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى ، تخف الثقلة ، وتشرق الظلمة ، وترق الكثافة ، وترف العرامة .

واللبس والغبش في الرؤية ، والتأرجح والتردد في الخطوة ، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه .. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى .. يتضح الهدف ويستقيم الطريق إليه وتستقيم النفس على الطريق ﴿ يهدي به اللَّه من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ [المائدة : ١٦] .

هو ما يسكبه (القرآن) والدين في الحياة كلها .. سلام الفرد ، وسلام الجماعة ، وسلام العالم .. سلام الضمير ... وسلام العقل ، وسلام الجوارح .. سلام

(١) « الظلال » (٢ / ٧٥٦) .

البيت والأسرة ، وسلام المجتمع والأمة ، وسلام البشر والإنسانية .. السلام مع الحياة ، والسلام مع الكون ، والسلام مع اللّٰه رب الكون والحياة .. السلام الذي لا تجده البشرية .. - ولم تجده يوماً - إلا في هذا الدين ؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته ، (سبل السلام) سبل السلام كلها في هذه الجوانب جميعها .. ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشيء من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير .. وحرب القلق الناشيء من شرائع الجاهلية وتخبطها في أعماق الحياة .

ما أحوجنا نحن الذين عشنا في هذا السلام فترة من تاريخنا ، ثم خرجنا من السلام إلى الحرب التي تحطم أرواحنا وقلوبنا ، وتحطم أخلاقنا وسلوكنا ، وتحطم مجتمعنا وشعوبنا .. بينما نملك الدخول في السلم الذي منحه اللّٰه لنا ؛ حين نتبع رضوانه ؛ ونرضى لأنفسنا ما رضيه اللّٰه لنا ! إننا نعاني من ويلات الجاهلية ، والقرآن منا قريب .. نعاني من حرب الجاهلية وسلام القرآن في متناول أيدينا لو نشاء .. فأية صفقة خاسرة هذه التي نستبدل فيها الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ ونشتري فيها الضلالة بالهدى ؟

﴿ **ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه** ﴾[المائدة : ١٦] .

والجاهلية كلها ظلمات ، ظلمة الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات ، وظلمة الشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه ، وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس . وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والقيم والموازين ﴿ **ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾[المائدة : ١٦] .

مستقيم مع فطرة النفس ونواميسها .. مستقيم مع فطرة الكون ونواميسه ، مستقيم إلى اللّٰه لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات(١) .

﴿ **ألا بذكر اللّٰه تطمئن القلوب** ﴾[الرعد : ٢٨] .

« ذلك الاطمئنان بذكر اللّٰه في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين

---

(١) « في ظلال القرآن » (٢ / ٨٦٢ ، ٨٦٣) .

خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم .. يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها ، لأنها لا تنقل بالكلمات ، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهشّ لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام .

وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى اللّه ، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بما حوله في الكون ، لأنه انفصم من العروة التي تربطه باللّه ، ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه وحيداً شارداً في فلاة ، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين .

﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل للّه الأمر جميعاً ﴾ [الرعد : ٣١] .

هذا القرآن العجيب ، الذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى ، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات ، ولكنه جاء لخطاب المكلفين الأحياء .

ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى ، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثاراً في أقدار الحياة ، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته ، فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض ، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ .

الذين تلقوه وتكيفوا به سيَّروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال وقطعوا ما هو أصلب من الأرض ، وهو جمود الأفكار وجمود التقاليد ، وأحيوا ما هو أخمد من الموتى ، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام(١) .

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ [الإسراء : ٩] .

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بين ظاهر الإنسان وباطنه ، في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، في علاقات الناس بعضهم ببعض .

---

(١) « الظلال » (٢٠٦٠ - ٢٠٦١) .

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

في القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة ، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت ، وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان .

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيرضى ويستروح الرضا من الله والرضى عن الحياة ، والقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان .

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير فهو يعصم العقل من الشطط .

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء المجتمعات[1] .

﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

« وأسوأ ما يصنعه قرين بقرين أن يصده عن السبيل الواحدة القاصدة ثم لا يدعه يفيق ، أو يتبين الضلال فيتوب ؛ إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون ، هنا يفيقون كما يفيق المخمور ، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال .

والعذاب كامل لا تخففهُ الشركة ، ولا يتقاسمه الشركاء فيهون »[2] .

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [طه:١٢٤] .

الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ؛ ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع .

---

(١) « الظلال » (٤ / ٢٢٤٨) .

(٢) « الظلال » (٣١٨٩ - ٣١٩٠) .

إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه .... ضنك الحيرة والقلق والشك .... ضنك الحرص والحذر : الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت .... ضنك الجري وراء بارق المطالع والحسرة على كل ما يفوت .

لقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه فألقى بالهدى من بين يديه ، وهو أنفس ثراء وذخر[1] .

قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن ؛ وليس أبشع من تفريط المستحفظ ؛ وليس أخس من تدليس المستشهد .. يخونون ويفرطون ويدلسون ، فيسكتون على العمل لتحكيم ما أنزل الله ويحرفون الكلم عن مواضعه ، لموافاة أهواء ذوي السلطان على حساب كتاب الله .

﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾ [المائدة : ٤٨] .

﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ [المائدة : ٥] .

أجل ؛ فمن أحسن من الله حكماً ؟!! .

« من ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ويحكم فيهم ، خيراً مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ، وأي حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض ؟!

أيستطيع أن يقول : إنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟! أيستطيع أن يقول : إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس ؟! أيستطيع أن يقول : إن الله سبحانه – وهو يشرع شريعته الأخيرة ، ويرسل رسوله الأخير ، ويجعل رسوله ﷺ خاتم النبيين ،

---

[1] « الظلال » (٢٣٥٥) .

ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ، ويجعل شريعته شريعة الأبد كان - سبحانه وحاشاه - يجهل أن أحوالاً ستطرأ ، وأن حاجات ستستجد ، وأن ملابسات ستقع ، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان ؟ !

ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة اللّٰه عن حكم الحياة ، ويستبدل بها شريعة الجاهلية ، وحكم الجاهلية ، ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب ، أو هوى جيل من أجيال البشر ، فوق حكم اللّٰه ، وفوق شريعة اللّٰه ؟!

ما الذي يستطيع أن يقوله .. وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين ؟ ! الظروف ؟! الملابسات ؟! عدم رغبة الناس ؟! الخوف من الأعداء ؟! ألم يكن كل هذا في علم اللّٰه ، قصور شريعة اللّٰه عن استيعاب الحاجات الطارئة ؛ والأوضاع المتجددة ، والأحوال المتغلبة ؟ ألم يكن ذلك في علم اللّٰه .

يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء .. ولكن المسلم .. أو من يدَّعون الإسلام.. ما الذي يقولون عن هذا كله ؛ ثم يبقون على شيء من الإسلام ؟ أو يبقى لهم شيء من الإسلام ؟ إنه مفرق الطريق الذي لا معدى عنده من الاختيار ، ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال إما إسلام وإما جاهلية إما حكم اللّٰه وإما حكم الجاهلية[1] .

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللّٰه وما نزل من الحق ﴾ [الحديد : ١٦] .

لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا وتبلد ، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة ، وأن يشرق فيه النور وأن يخشع لذكر اللّٰه ، فاللّٰه يحيي الأرض بعد موتها ، فتنبض بالحياة ، وتزخر بالنبت والزهر ، وتمنح الأكل والثمار ، وكذلك القلوب حين يشاء اللّٰه .

وفي هذا القرآن ما يُحيي القلوب كما تحيا الأرض وما يمدها بالغذاء والري والدفء »[2] .

---

(١) « الظلال » (٢ / ٩٠٥) .

(٢) « الظلال » (٣٤٨٩) .

يا أصحاب السورة ويا أصحاب السورتين ماذا غرس القرآن في قلوبكم إن القرآن ربيع قلب المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، إن الغيث قد ينزل على الحبة في الحش ، ما يمنعه نتن موضعها من أن تزهر وتثمر وتربو فماذا غرس القرآن في قلوبكم ؟!

قال تعالى : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾[1] الآية [الحشر : ٢١] .

إن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته ، والذين أحسّوا شيئاً من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي » .

﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ [الإسراء : ١٠٥] .

لقد أنزل الله هذا القرآن قائماً على الحق منزل ليقر الحق في الأرض ويثبته .. (وبالحق نزل) فالحق مادته والحق غايته ، ومن الحق قوامه ، وبالحق اهتمامه .. الحق الأصيل الثابت في ناموس الوجود[2] .

﴿ **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ، ١٠٨] .

« هم لا يسجدون ولكن ﴿ **يخرون للأذقان سجداً** ﴾ لا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه ، فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ .

« هذا أثر القرآن في القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه ، العارفة بطبيعته وقيمته » .

« إني لأعجب لقرّاء القرآن كيف يهنيهم النوم ومعهم القرآن ، أما والله لو علموا ما حملوا لطار عنهم النوم فرحاً بما رُزقوا » .

---

(١) « الظلال » (٣٥٣٢) .

(٢) « الظلال » (٢٢٥٣) .

في الصحيحين عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : « كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول اللَّه ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

قال ابن رجب : « دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له ، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان » .

وفي حديث فاطمةَ عليها السلام عن أبيها ﷺ : أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة ، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين .

وفي حديث ابن عباس (رضي اللَّه عنهما) أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ﴾ [المزمل : ٦] .[١] فكتاب اللَّه أفضل مؤانس وسميرك إذا احلولكت ظلمة الحنادس :

نعم السمير كتاب اللَّه إن له ... حلاوة هي أحلى من جني الضرب

به فنون المعاني قد جمعن فما ... تفتّر من عجب إلَّا إلى عجب

أمر ونهي وأمثال وموعظة ... وحكمة أودعت في أفصح الكتب

لطائف يجتليها كل ذي بصر ... وروضة يجتنيها كل ذي أدب

قال تعالى : ﴿ إن الذين يتلون كتاب اللّه وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ [فاطر : ٢٩ - ٣٠] .

قال ﷺ : « أوصيك بتقوى اللَّه تعالى ؛ فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه

(١) « لطائف » (١٨٩) .

رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض »[(١)] .

قال ﷺ : « خياركم من تعلم القرآن وعلمه »[(٢)] .

وقال ﷺ : « من سرَّه أن يحب الله ورسوله فلينظر في المصحف »[(٣)] .

وقال ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[(٤)] .

وقال ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليك شاق له أجران »[(٥)] .

وقال ﷺ : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة ، اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه »[(٦)] .

وقال ﷺ : « يجيء القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حَلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيُلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقول : اقرأ و ارق ، ويزاد بكل آية حسنة »[(٧)] .

وقال ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة »[(٨)] .

---

(١) حسن : رواه أحمد عن أبي سعيد وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٥٤٣) .
(٢) صحيح : رواه الدارمي عن سعد ، وأحمد وابن أبي شيبة عن علي ، وابن أبي شيبة عن عثمان وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٦٨) .
(٣) حسن : رواه أبو نعيم في « الحلية » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن مسعود وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٨٩) .
(٤) رواه البخاري في « التاريخ » ، والترمذي ، والحاكم عن ابن مسعود وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤٦٩) .
(٥) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة عن عائشة .
(٦) رواه أحمد والنسائي ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن ابن عمرو وصححه الألباني رقم (٨١٢٢) في « صحيح الجامع » .
(٧) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٨٠٣٠) .
(٨) رواه أحمد ومسلم ، والترمذي عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « لو كانت سورة واحدة لكفت الناس »[١] .

وقال ﷺ : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »[٢] .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين »[٣] .

وقال ﷺ : « إن لله تعالى أهلين من الناس : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[٤] .

وقال ﷺ : « أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله »[٥] .

وقال ﷺ : « إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله »[٦] .

وقال ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »[٧] .

وقال ﷺ : « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة »[٨] .

قال ابن رجب : « كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها » .

« كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال »[٩] .

---

(١) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود عن أبي سعيد ، والطحاوي ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٢٩٣) .

(٢) صحيح : رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ، وابن جرير عن أبي سعيد وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٧٣) .

(٣) رواه مسلم ، وابن ماجة عن عمر .

(٤) رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجة ، والحاكم عن أنس وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٦٥) .

(٥) صحيح : رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة والبيهقي في « شعب الإيمان » والخطيب عن ابن عباس ، والسجزي في « الإنابة » ، والخطيب عن ابن عمر ، والديلمي في « مسند الفردوس » عن عائشة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٩٤) .

(٦) صحيح : رواه ابن ماجة عن جابر وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٢٠٢) .

(٧) رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم عن البراء ، والطبراني عن ابن عباس ، وأبو نعيم عن عائشة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٥٨٠) .

(٨) رواه أحمد والنسائي ، عن تميم وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤٦٥) .

(٩) « الحلية » (٢ / ١٦٣) .

« كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة »[(١)] .

« وكان النخعيّ يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاث »[(٢)] .

والشافعي قال عنه ربيع بن سليمان : « كان محمد بن إدريس الشافعيّ يختم في شهر رمضان ستين ختمة ، ما منها شيء إلا في صلاة » .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : كنت أختم القرآن في رمضان ستين مرة .

وقال الحميدي : كان الشافعيّ يختم القرآن كل يوم ختمة ، وعن أبي حنيفة نحوه »[(٣)] .

« وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الرجوي يختم كل يوم » .

وأبو العباس بن عطاء : قال عنه أبو الحسين محمد بن علي صاحب الجنيد : « صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدباً بآدابه ، وكان له في كل يوم ختمة ، وفي كل شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات » .

قال النووي : « روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً رحمه اللَّه كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء » وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل »[(٤)] .

وعن منصور : « كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان »[(٥)] .

---

(١) « الحلية » (٢ / ٣٣٨) ، « لطائف » (١٩١) .
(٢) « لطائف » (١٩١) .
(٣) « لطائف المعارف » (١٩١) .
(٤) « التبيان » (١١ ، ١٢) ، و« الأذكار » (٩٥ ، ٩٦) .
(٥) « التبيان » (١١ ، ١٢) ، و« الأذكار » (٩٥ ، ٩٦) .

قال ابن رجب : وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان .

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام .

قال ابن الحكم : كان مالك إذا دخل رمضان يفرّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

قال عبد الرزاق : كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

وكانت عائشة (رضي اللّه عنها) تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت .

وقال سفيان : كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه .

« وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان ، خصوصاً في الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان ، وهو قول أحمد ، وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره »(١) .

قال ابن مسعود : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، ونهاره إذا الناس يفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

قال محمد بن كعب : كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه يشير إلى سهره وطول تهجده .

قال وهيب بن الورد : قيل لرجل ألا تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن أطرن نومي .

قال أحمد بن الحواري : إني لأقرأ القرآن وانظر في آية فيحير عقلي بها ،

---

(١) « لطائف » (١٩١ ، ١٩٢) .

وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا .

وأنشد ذو النون المصريّ :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها لا تهجع

فهموا عن الملك الكريم كلامه فهماً تذل له الرقاب وتخضع [(١)]

رمضان والشفاعة :

لأنه شهر الصيام والقرآن وهما يشفعان للعبد يوم القيامة قال ﷺ : « **القرآن شافع مشفع ، ماحل مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار** » [(٢)] .

وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » [(٣)] .

وقال ﷺ : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان** » [(٤)] .

عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول : أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك** » [(٥)] .

---

(١) « لطائف المعارف » (١٩٣) .

(٢) رواه ابن حبان ، وابن ماجة عن جابر ، والطبراني في « الكبير » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن مسعود وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٤٣) .

(٣) رواه أحمد ، ومسلم عن أبي أمامة .

(٤) صحيح : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » عن ابن عمرو ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٨٨٢) .

(٥) قال الألباني في « صحيح ابن ماجة » (٢ / ٣١٤) : ضعيف يحتمل التحسين . قال ابن كثير : هذا إسناد حسن على شرط مسلم فإن بشيراً هذا خرَّج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي ما به بأس انظر « الفتح الرباني » (١٨/ ٧٢) .

قال ابن رجب[١] : « فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أولا يختص كشهوة فضول الكلام المحرمة ، والنظر المحرم والسماع المحرم ، والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند اللّٰه يوم القيامة ، ويقول : يا رب منعته شهواته فشفعني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته ، فأما من ضيّع صيامه ولم يمنعه مما حرمه اللّٰه عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له : ضيعك اللّٰه كما ضيعتني .

قال بعض السلف : إذا احتضر المؤمن يقال للملك : شم رأسه قال : أجد في رأسه القرآن ، فيقال : شم قلبه ، فيقول : أجد في قلبه الصيام ، فيقال : شم قدميه ، فيقول : أجد في قدميه القيام ، فيقال : حفظ نفسه حفظه اللّٰه عز وجل .

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل ، من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له ، أما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار ، فإنه ينتصب القرآن خصماً له يطالبه بحقوقه التي ضيعها كما جاء في حديث سمرة ابن جندب عن النبي ﷺ : « **إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وقالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى** » ... الحديث وفيه : « **أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة** »[٢] .

يا من ضيّع عمره في غير الطاعة ، يا من فرّط في شهره بل في دهره وأضاعه ، يا من بضاعته التسويف والتفريط ، وبئست البضاعة ، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة[٣] .

---

(١) « اللطائف » (١٩٢) .
(٢) رواه البخاري تامّاً في كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا ، ومسلم ، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي .
(٣) « اللطائف » (١٩٤) .

ويـل لمن شـفـعـاؤه خـصـمـاؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

يا إخوتاه :

« هذا عباد اللَّه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وفي بقيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب اللَّه يتلى فيه بين أظهركم ويُسمع ، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع ، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع ، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة ، لا الشابّ منا ينتهي عن الصبوة ، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي اللَّه أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات اللَّه جلت قلوبهم جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ، أفمالنا فيهم أسوة ؟ ما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بين الصفا والمروة ، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال .

يا نفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبي قد عمي

يا حسنهم والليل قد جنهم ونورهم يفوق نور الأنجم

ترنموا بالذكر في ليلهم فعيشهم قد طاب بالترنم

قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منتظم

أسحارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير القسم

ويحك يا نفس ألا تيقظ ينفع قبل أن تزل قدمي

مضى الزمان في ثوان وهوى فاستدركي ما قد بقى واغتنمي[1]

---

(١) « لطائف المعارف » (١٩٤ ، ١٩٥) .

« سجع »

إخواني :

* هذه الأيام تصان ، هي كالتاج على رأس الزمان ، وصل توقيع القِدم من الرحيم الرحمن ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

* قد ذهب نصف البضاعة في التفريط والإضاعة ، والتسويف يمحق ساعة بعد ساعة والشمس والقمر بحسبان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* يا واقفاً في مقام التحيّر هل أنت على عزم التغيّر ؟ إلى متى ترمني بالنزول في منزل الهوان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* هل مضى من يومك يوم صالح ، سلمت فيه من جرائم القبائح ، تاللّه لقد سبق المتقي الرابح وأنت راض بالخسران ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* عينك مطلقة في الحرام ، ولسانك منبسط في الآثام ، ولأقدامك على الذنوب إقدام والكل مثبت في الديوان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* تاللّه لو غفلت حالك أو ذكرت ارتحالك ، أو تصورت أعمالك لبنيت بيت الأحزان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* سيشهد رمضان عليك ، بنطق لسانك ونظر عينيك ، وسيشار يوم الجمع إليك ، شقى فلان وسعد فلان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* في كل لحظة تُقرَّب من قبرك ، فانظل لنفسك في تدبير أمرك ، وما أراك إلا كأول شهرك ، الأول والآخر سيان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

* زنوا أفعالكم في هذا الشهر بميزان ، واشتروا خلاصكم بما عزَّ وهان ، فإن عجزتم فسلوا المعين وقد أعان ، إن كان في الماضي قد قبح الوصف فقم الآن ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ .

« سجع »

صاموا النهار بلا فتور نصبوا الأقدام في الدَّيجور ، ببكاء مطرود مهجور ، فامتلأت بالخيرات الجحور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ .

رفضوا الدنيا شغلاً عن الزينة ، وأذلوا أنفسهم فعادت مسكينة ، وعلموا الدنيا سفينة فتهيأوا للعبور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ .

يؤثرون بالطعام ويؤثرون الصيام ، يأملون فضل الإنعام ، فما كانت إلا أيام حتى اخضرت البذور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ .

العليل عليل ، والأنين طويل ، والعيون تسيل ، وما مضى إلا القليل حتى فرح الصبور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ [(١)] .

بخلوف عبد مسكين نالوا المقام الأمين ، وانشعب قلب الحزين بأكمل الحبور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ .

سبحان من قضى لقوم سروراً ، وعلى آخرين ثبوراً فما لهم من نور ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ [(٢)] .

رمضان شهر التراويح والتهجد

شهر رمضان شهر المصابيح ، شهر التهجد والتراويح ، واهاً لأوقاته من زواهر ما أشرفها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، حليتها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعتق .

فطوبى لعبد صام نهاره ، وقام أسحاره ... يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه وعَيْنُ العين أطهر .

---

(١) « التبصرة » (٢ / ٩٦ ، ٩٧) .

(٢) « التبصرة » بتصرف (٢ / ٢٩١) .

وكم من فوائد ومعان في التراويح :

(١) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب :

قال رسول الله ﷺ : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** »[١] .

وزاد مسلم في أوله : كان رسول الله ﷺ يُرغِّبُ في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمته ثم يقول : « **من قام رمضان ...** »[٢] .

قال الألباني : « هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات بأنه لو كان على الإنسان ذنوب تغفر له بسبب هذه العبادات ، فإن لم يكن للإنسان ذنب ، يظهر هذا الفضل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب »[٣] .

(٢) استحقاق قائمة اسم الصديقين والشهداء :

وهذا فيض الكريم وجوده يسوقه ﷺ ، وفيه الغنم كل الغنم :

« جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته فَمِمّن أنا ؟ قال : « **من الصديقين والشهداء** »[٤] .

ولفظ ابن خزيمة : « جاء رسول الله ﷺ رجل من قضاعة ، فقال له : إن شهدت ألا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات وصمت الشهر وقمت رمضان ، وآتيت الزكاة ؟ فقال النبي ﷺ : « **من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء** » .

---

(١) أخرجه أصحاب الكتب الستة ، ومالك ، وأحمد ، والدارمي ، والفريابي في « كتاب الصوم » وعبد الغني المقدسي في « فضائل رمضان » .

(٢) زيادة عند مسلم وأبي داود ، والترمذي .

(٣) « التعليق على صحيح الترغيب والترهيب » (١ / ٤١٥) .

(٤) صحيح : رواه البزار ، وابن خزيمة ، وابن حبان في « صحيحيهما » واللفظ لابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٩٩٣) ، و « التعليق على ابن خزيمة » (٢٢١٢) .

وما زاد الصحابي الجليل على أركان الإسلام الخمسة إلا قيام رمضان واستحق بهذه الزيادة اسم الصديقين والشهداء .

كان عمر بن الخطاب إذا دخل أول ليلة من رمضان يصلي المغرب ثم يقول :

« أما بعد ، فإن هذا الشهر كُتب عليكم صيامه ، ولم يُكتب عليكم قيامه ، فمن استطاع منكم أن يقوم فليقم ، فإنها نوافل الخير التي قال اللَّه »[١] .

* وقال أحدهم : ما على أحدكم أن يقول : الليلة ليلة القدر ، فإذا جاءت أخرى قال : الليلة ليلة القدر » .

وكان ابن عون إذا جاء شهر رمضان جاء برمل فألقاه في المسجد ، ثم يقول لبنيه : « ما تبتغون بعد شهر رمضان وكان لا ينام »[٢] .

(٣) من قام مع إمامه كتب له قنوت ليلة :

جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة »[٣] .

قال الألباني : [والشاهد من هذا الحديث قوله : « من قام مع الإمام ... » فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام] .

قال صاحب عون المعبود : « حصل له ثواب قيام ليلة تامة » .

وعن أبي إسحاق الهمداني : خرج علي بن أبي طالب في أول ليلة من رمضان ، والقناديل تزهر في المسجد ، وكتاب اللَّه يتلى فجعل ينادي : نوّر اللَّه لك يا ابن الخطاب في قبرك كما نوّرت مساجد اللَّه بالقرآن »[٤] .

---

(١) « المصنف » لعبد الرزاق .

(٢) « مختصر قيام الليل » (ص ٩٢) .

(٣) سنده صحيح : رواه أبو داود ، واللفظ له ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن أبي شيبة ، وقال الألباني : سنده صحيح « صلاة التراويح » (ص ١٥) .

(٤) « مختصر قيام الليل » (ص ٩٤) .

فاتق اللَّه في عمرك ، وأقبل على صلاة التراويح يقبل اللَّه عليك وانظر إلى سلفك من الصحابة .

عن السائب بن يزيد أنه قال : « أمر عمر بن الخطاب أبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة . قال : وقد كان القارئ يقرأ بالمئين ، حتى كنّا نعتمد على العصيّ من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر »[١] خشية أن يفوتنا الفلاح : السحور[٢] .

واللَّه ما صلاح الأجساد إلا بانتصابها في القيام والتراويح وهو شفاء من أمراض الأجساد والقلوب ورفعة للدرجات عند علّام الغيوب وهذا طريق الصالحين من قبلنا .

قال ﷺ : **« عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى اللَّه تعالى ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد »**[٣] .

في بحث أعدته الدكتورة « سلوى محمد رشدي » جامعة حلوان كلية التربية الرياضية وموضوعه « صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقري والكفاءة الوظيفية للقلب بعد الستين » .

تقول الدكتورة سلوى : « إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على أهمية صلاة التراويح للمسلم ، وأثر ذلك على الكفاءة الوظيفية للقلب ، ودرجة المرونة في العمود الفقري ... وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من ستين رجلاً وامرأة مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية التراويح في شهر رمضان عام ١٤٠٥ هـ ،

---

(١) سنده صحيح : أخرجه مالك في باب « ما جاء في قيام رمضان » وعنه البيهقي في « سننه الكبرى » وقال السيوطي في المصابيح « سنده في غاية الصحة » وصححه الألباني .

(٢) صلاة التراويح وما يتعلق بها من أحكام ، وأحكام قيام الليل عامة مبسوط في جمعي « رهبان الليل » .

(٣) صحيح : رواه الترمذي والبيهقي والحاكم في « المستدرك » عن بلال ، والترمذي ، والحاكم ، والبيهقي في « السنن » عن أبي أمامة ، وابن عساكر في « التاريخ » عن أبي الدرداء ، والطبراني في « الكبير » عن سلمان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٥٨ ج٣/ ٥٠) .

وثلاثين من المصلين الذين لم يقوموا بتأديتها ، وقد طبقت عليهم اختبارات لمعرفة مرونة العمود الفقري من الأوضاع المختلفة ، وكذلك اختبار الكفاءة الوظيفية باستخدام العملية الأرجومترية .. وقد أظهرت هذه الدراسة أن هناك فروقاً كبيرة بين المصلين التراويح وغير المصلين ، في درجة مرونة العمود الفقري ، وكذلك في الكفاءة الوظيفية للقلب ، وقالت الدكتورة سلوى رشدي : لقد أوصيت في هذه الدراسة بتشجيع المسلم على تأدية الصلاة عموماً ، وعلى صلاة التراويح على وجه الخصوص لما لها من فائدة على الجهاز الدوري والتنفسي ، ومرونة مفاصل الجسم وخاصة العمود الفقري ، حيث أن كبار السن في حاجة إلى القيام بتأدية التمرينات التي تحافظ على اللياقة البدنية ، واللياقة الوظيفية للقلب »[١] .

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يربطون الحبال بين السواري ثم يتعلقون بها من طول القيام في التراويح .

قال ابن رجب : « إن جمع ثلاثة قرآء فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين ، وأوسطهم بخمس وعشرين ، وأبطأهم بعشرين ثم كان في زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه خفف » .

قال ابن منصور : سئل إسحاق بن راهويه : كم يقرأ في شهر رمضان ؟ فلم يرخص في دون عشر آيات ، فقيل له : إنهم لا يرضون ، فقال : لا رضوا ، فلا تؤمنَّهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من (البقرة) ، يعني في كل ركعة ، وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات .

وقال الإمام أحمد : إنما الأمر على ما يحتمله الناس .

وقال أحمد لبعض أصحابه وكان يصلي بهم في رمضان : هؤلاء قوم ضعفاء ، اقرأ خمساً ، ستاً ، سبعاً : فقرأت فختمت ليلة سبع وعشرين .

---

(١) انظر مجلة الاعتصام العددان الرابع والخامس محرم وصفر سنة ١٤٠٦ هـ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٥م ص (٢٠ ، ٢١) .

وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعي في القراءة حال المأمومين ، فلا يشق عليهم ،وقاله أيضاً غيره من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم[١] .

قال ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين »[٢] .

قوله : « من المقنطرين » أي : ممن كتب له قنطار من الأجر .

وقال الحافظ ابن حجر : « من سورة (تبارك الذي بيده الملك) إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم » .

قال ابن رجب : « وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ، وبعضهم في كل سبع ، منهم قتادة ، وبعضهم في كل عشرة ، منهم أبو رجاء العطاردي » فرحم الله رجلاً قدم لآخرته ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وقدم مهره فإنما مهر الحور الحسان طول التهجد بالقرآن ، ولا تكن ممّن يعظم الخطبة ويسيء المهر » .

بادر يا أخي فإنه مبادر بك .

كان أبو الدرداء يقول : « صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور ، صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير »[٣] .

وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلاً

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلا

* * *

---

(١) « بغية الإنسان في وظائف رمضان » لابن رجب الحنبلي (ص ٣٥) دار القادسية .

(٢) صحيح : رواه أبو داود ، وابن خزيمة ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (٦٣٥) ، وصححه في « صحيح الجامع » رقم (٦٣١٥) .

(٣) « بغية الإنسان في وظائف رمضان » (ص ٢٩) .

رمضان شهر تكفير الذنوب

أنعم الكريم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهرها هذا مخصوصاً بعميم غفرانه .

يا إخوتاه : أيام رمضان أيام محو ذنوبكم فاستغيثوا إلى مولاكم من عيوبكم . هي أيام الإنابة فيها تفتح أبواب الإجابة ، فأين اللائذ بالجناب ، أين المتعرّض بالباب ، أين الباكي على ما جنى ، أين المستغفر لأمر قد دنا .

كم منقول في هذه الليلة من ديوان الأحياء عن قريب يفاجأ بالممات وهو مقيم على السيئات ، ألا رب فَرِح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى ألا رب غافل عن تدبير أمره قد انفصمت عُرَى عمره ، ألا رب مُعْرض عن سبيل رشده قد آن أوان شق لحده ، ألا رُبّ رافل في ثوب شبابه قد أزف فراقه لأحبابه ، ألا رب مقيم على جهله قد قرب رحيله عن أهله ، ألا رب مشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ، ألا ربّ ساع في جمع حطامه قد دنا تشتت عظامه ، ألا ربّ مُجدّ في تحصيل لذاته قد آن خراب ذاته .

أين المعتذر مما جناه فقد اطلع عليه مولاه ، أين الباكي على تقصيره قبل تحسره في مصيره .

يا مطروداً ما درى ، تعاتب ولا تفهم ما جرى ، متى تُرَى على الباب تُرَى .

تعالوْ كلّ من حضرا لنطرق بابه سحرا

ونبكي كلنا أسفا على من بات قد هجرا

عن جابر بن سمرة رضي اللّه عنه قال ، قال رسول اللّه ﷺ : « **أتاني جبريل ، فقال : يا محمد ، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده اللّه ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، قال : يا محمد ، من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده اللّه ، قل آمين ، فقلت : آمين ، قال : ومن ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فدخل النار فأبعده**

اللَّه ، قل : آمين ، فقلت : آمين » [١] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **رغم أنف** [٢] **رجل ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة »** [٣] .

قال المناوي : « رغم أنف من علم أنه لو كفّ نفسه عن الشهوات شهراً في كل سنة ، وأتى بما وُظِّفَ له فيه من صيام وقيام غفر له ما سلف من الذنوب فقصّر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى ، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيماناً واحتساباً عظّمه اللَّه ، ومنْ لم يعظِّمه اللَّه حقَّره وأهانه »[٤] .

« والغفران مشروط بشرطين : الإيمان والاحتساب ، وهما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثاً وتقليداً قلّما يدفع صاحبه إلى الخير وينهاه عن الشر »[٥] .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »** [٦] ، « **وما تأخر »** .

قال الحافظ ابن حجر : زاد أحمد « وما تأخر » ، ووقعت هذه الزيادة في رواية الزهري عن أبي سلمة ، وقد وقعت هذه الزيادة أيضاً في حديث عبادة بن الصامت عند الإمام أحمد من وجهين وإسناده حسن ، وقد استوعبت الكلام على طرقه في

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن جابر بن سمرة ، ورواه ابن حبّان في « صحيحه » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٥) .

(٢) رغِم : بالكسر أي لصق بالرغام أي : التراب هذا أصله ، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف .

(٣) صحيح : رواه الترمذي في الدعوات ، وقال : حديث حسن غريب ، وقال الحاكم : صحيح ، وقال بن حجر : له شواهد ، وقال الألباني : وإسناده حسن ، وأخرج منه الحاكم (١ / ٥٤٩) الفقرة الأولى من هذا الوجه ، وأخرج مسلم الفقرة الأخيرة منه عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « تحقيق المشكاة » (رقم ٩٢٧) ، و « صحيح الجامع »رقم (٣٥١٠) .

(٤) « فيض القدير » (٤ / ٣٤) .

(٥) « الصوم في ضوء الكتاب والسنة » للأشقر ص (١٤) .

(٦) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة مختصراً .

« كتاب الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة »[1] .

وقال الساعاتي في « الفتح الرباني » (٩ / ٢٥) : « رواه أحمد بالزيادة بعد ذكر الصوم بإسناد حسن ، وقال المنذري : انفرد بهذه الزيادة قتيبة بن سعيد عن سفيان وهو ثقة ثبت وإسناده على شرط الصحيح » ا . هـ .

وفي رواية النسائي : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

* وقال ﷺ : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

قال الخطابي : « (إيماناً واحتساباً) أي نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه ، طيبة به نفسه غير كاره له ، ولا مستثقل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب » .

وقال البغوي : « احتساباً » أي طلباً لوجه اللَّه وثوابه : يقال فلان يحتسب الأخبار ويتحسبّها : أي يتطلبها .

قال المناوي : « أي صام أيامه كلها إيماناً بفرضيته ومصدقاً طلباً للثواب » .

قال الحافظ ابن حجر : ظاهره يتناول الصغائر والكبائر وبه جزم ابن المنذر .

وقال النووي : « المعروف أنه يختص بالصغائر ، وبه جزم إمام الحرمين ، وعزاه عياض لأهل السنة ، وقال بعضهم : ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة » .

وقال المناوي : « غفر له ما تقدم من ذنبه » لكنْ خصه الجمهور بالصغائر والتصديق والاحتساب وهو الطواعية شرط لنيل الثواب والمغفرة في صوم رمضان ، فينبغي الإتيان به بنية خالصة وطويّة صافية امتثالاً لأمره تعالى واتكالاً على وعده من غير كراهية وملالة لما يصيبه من أذى الجوع والعطش وكلفة الكفّ عن قضاء الوطر ، بل يحتسب النصب والتعب في طول أيامه ، ولا يتمنى ساعة انصرافه ويستلذ مضاضيته » .

---

(١) « فتح الباري » (٤ / ١٣٨ - ١٣٩) .

وقال : « علم من الأدلة الخارجية أن حقوق الخلق لابدّ فيها من رضا الخصم فهو عام خصّ بحق الله إجماعاً ، بل وبالصغائر عند قوم ، وظاهره أن ذلك لا يحصل إلا بصومه كله ، فإن صام بعضه وأفطر بعضه لعذر كمرض - وكان لولاه لصام - جاز الثواب ذكره ابن جماعة »[١] .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر** »[٢] .

* عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **احضروا المنبر** » فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال : « **آمين** » ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : « **آمين** » ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : « **آمين** » فلما نزل قلنا : يا رسول الله ! لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه ، قال : « **إن جبريل عرض لي فقال : بَعُد من أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت : (آمين) ، فلما ترقيت الثانية قال : بَعُد من ذُكرت عنده فلم يصل عليك فقلت : (أمين) ، فلما رقيت الثالثة قال : بَعُد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قلت : (أمين)**[٣] .

* وعن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه ، عن جده قال :

صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقى عتبة قال : « **آمين** » ثم رقى أخرى فقال : « **آمين** » ، ثم رقى عتبة ثالثة فقال : « **آمين** » ، ثم قال : « **أتاني جبريل فقال : يا محمد ! من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله ، فقلت : (آمين) ، قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله ، فقلت : (آمين) ، قال : ومن ذُكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ، فقلت : (أمين)** »[٤] .

---

(١) « فيض القدير » للمناوي (٤ / ٣٤) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) صحيح : رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٨٥) .

(٤) صحيح : رواه ابن حبان في « صحيحه ، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٨٦) .

* وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال : « آمين ، آمين ، آمين » ، قيل : يا رسول اللَّه ! إنك صعدت المنبر فقلت : « آمين ، آمين ، آمين » فقال : « **إن جبرائيل عليه السلام أتاني فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده اللَّه ، قل : (آمين) ، فقلت : (آمين)** ... الحديث[1] .

يا إخوتاه .. قال ابن مسعود : وددت لو أن اللَّه غفر لي ذنباً واحداً وأن لا يعرف لي نسب ، وقال : وددت أني عبد اللَّه بن روثة وأن اللَّه غفر لي ذنباً واحد .

فما ظنك بغفران الذنوب في رمضان .

أخـــي

* يا مضيعاً اليوم تضييعه أمس ، تيقظ .... ويحك ... فقد قتلت النفس ، وتنبه للسحور فإلى كم نحس ، واحفظ بقية العمر فقد بعت الماضي بالبخس .

* يا من يجول في المعاصي قلبه وهمه ، يا مؤثراً الهوى على التقى لقد ضاع حزمه ، يا معتقداً صحته فيما هو سقمه ، يا من كلما زاد عمره زاد إثمه ، يا طويل الأمل وقد رق عظمه[2] .

يا لديغ الأمل قد بالغ فيه سمه .... حبال الأمل رثاث ، وساحر الهوى نفّاث ، رحل العصاة إلى ظلام الأجداث ، باتوا شباعاً من المعاصي فإذا هم غِراث[3] .

يا قليل العبر وقد رحل أبوه وأمه ، يا من سيجمعه اللحد عن قليل ويضمّه ، كيف يوعظ من لا يعظه عقله ولا فهمه . كيف يُوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه ؟![4] .

---

(١) صحيح : رواه ابن خزيمة وابن حبان في « صحيحه » واللفظ له .

(٢) « التبصرة » (٢ / ٦٨) .

(٣) الغراث : الجوعى .

(٤) « التبصرة » (٢ / ٦٨ - ٦٩) .

أخـــي

مـن نـالـه داءٌ دَوِ بـذنـوبـه فليأت في رمضان باب طبيبه
فخُلُوف هذا الصوم يا قوم اعملوا أشهى من المسك السحيق وطيبه
أوليس هذا القول قول مليككم الصوم لي وأنا الذي أجزي به

أين من كان معكم في رمضان الماضي ؟ ، أما أفنته المنون القواضي ، أين من كان يصلي التراويح في الظلم ؟ سافر عن داره منذ زمان ولِمَ ؟ أين من صبر على الجوع والظَّمَا ، غاب فما آب ومضى فما ، أين الذين ارتفعت أصواتهم بالأدعية خرجت تلك الجواهر من تلك الأدعية .

* أيُّها الغافل اعرف زمانك ، يا كثير الحديث فيما يؤذي احفظ لسانك ، يا مسئولاً عن أعماله اعقل شأنك ، يا متلوناً بالزلل اغسل بالتوبة أدرانك ، يا مكتوباً عليه كل قبيح تصفح ديوانك .

* أخي : يا من أكثر عمره مع الذنوب قد مضى .... إن كان ما فرط يوجب السخط فاطلب في هذا الشهر الرضا ، يا كثير القبائح غداً تنطق الجوارح ، فأين الدموع السوافح ، يا ذا الداء الشديد الفاضح سُدَّ أبواب اللهو والممازح(١) .... أيها الرائح ، كيف حالك في الضرائح ، من لك إذا أوثقك الذابح ؟!.

* يا من قد سارت بالمعاصي أخباره ، يا من قد قَبُح إعلانه وإسراره ، أتؤثر الخسران - قل لي - وتختاره ؟ يا كثير الذنوب وقد دنا إحضاره ، نقدك بهرج إذا حُكَّ معياره .

قد ضاعت في الذنوب الأعمار ، فأين يكون لهذا الغرس إثمار ؟! .

إخواني : اعرفوا قَدْر مَنْ قدر ، تذكروا كيف عصيتم وستر ، وايم اللَّه لو قمتم على البصر ، وسجدتم شكراً على الإبر ، ما وفيتم بشكر نعيم محتقر ، أما طوى

(١) جمع ممزح .

القبيح وكل الجميل نشر ، أما بعض نعمه السمع والبصر .

بك أستجير ومن يجير سواكا فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلا للتوب قلب تائب ناجاكا
أترده وترد صادق توبتي حاشاك تطرد لائذا حاشاكا
أنا كنت يا ربي أسير غشاوة رانت على قلبي فضل سناكا
واليوم يا رب محوت غشاوتي وبدأت بالقلب البصير أراكا
ذقت الهوى مرّاً ولم أذق الهوى يا رب حلواً قبل أن أهواكا

* أيها المجتهد هذا ربيع جِدِّك ، أيها الطالب هذه أوقات رِفدك ، تيقظ أيها الغافل من سنة البطالة ، تحفَّظ أيها الجاهل من شُبه الضلالة ، اغتنم سلامتك في قبرك قبل انقراض مدتك وعزم عدتك ، وإزماع فوتك وانقطاع صوتك ، وعثور قدمك وظهور ندمك ؛ فإن العمر ساعات تذهب وأوقات تنهب ، وكلها معدودة عليك ، والموت يدنو كل لحظة إليك .

قال السري السقطي : « السنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، وأنفاس العباد ثمرتها ، فشهر رجب أيام توريقها ، وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطفها ، والمؤمنون قُطّافها » .

هذه الأشهر الثلاث المعظمة كالجمرات الثلاث ، فرجب كأول جمرة تحمي بها العزائم ، وشعبان كالثانية تذوب فيها مياه العيون ، ورمضان كالثالثة تُورق فيها أشجار المجاهدات ، وأي شجرة لم تورق في الربيع قطعت للحطب .

فيا منْ قد ذهبت عنه هذه الأشهر وما تغيّر أحسن اللّه عزاءك !

يا هذا :

لو قيل لأهل القبور تَمنَّوا لتمنوا يوماً من رمضان ، وأنت كلما خرجت من ذنوب دخلت في أخر ، يا قليل الصفا إلى كم هذا الكدر ، أنت في رمضان كما

كنت في سفر ، أما تنفعك العبر ، أَصُمّ السمعُ أمْ غُشِيَ البصر ، آن الرحيل وأنت على خطر ، ودنا السفر وتأمن الغِيَر ؟! ، وعند الممات يأتيك الخبر .

أنا العبد الذي كسب الذنوبا　　وصدّته الأماني أن يتوبا

أنا العبد الذي أضحى حزينا　　على زلاته قلقاً كئيباً

أنا العبد الذي سطرت عليه　　صحائف لم يخف فيها الرقيبا

أنا العبد المسيء عصيت سرّاً　　فمالي الآن لا أبدي النحيبا

أنا العبد المفرط ضاع عمري　　فلم أرع الشبيبة والمشيبا

أنا العبد الغريب بلج بحر　　أصيح لربما ألقى مجيبا

أنا العبد السقيم من الخطايا　　وقد أقبلت ألتمس الطبيبا

أنا العبد المخلف عن أناس　　حووا من كل معروف نصيبا

أنا العبد الفقير مددت كفي　　إليكم فارفعوا عني الخطوبا

أنا الغدار كم عاهدت عهداً　　وكنت على الوفاء به كذوبا

أنا المقطوع فارحمني وصلني　　ويسّر منك لي فرجاً قريباً

أنا المضطر أرجوا منك عفواً　　ومن يرجو رضاك فلن يخيبا

فيا أسفي على عمر تقضى　　ولم أكسب به إلا الذنوبا

وأحذر أن يعاجلني ممات　　يحير هول مصرعه اللبيبا

ويا حزناه من حشري ونشري　　بيوم يجعل الولدان شيبا

تفطرت السماء به ومارت　　وأصبحت الجبال به كثيباً

إذا ما قمت حيراناً ظميئا　　حسير الطرف عرياناً سليبا

ويا خجلاه من قبح اكتسابي　　إذا ما أبدت الصحف العيوبا

وذلة موقف وحساب عدل ... أكون به على نفسي حسيبا
ويا حذراه من نار تلظى ... إذا زفرت وأقلقت القلوبا
تكاد إذا بدت تنشق غيظاً ... على مَنْ كان ظلّاماً مريبا
فيا من مَدّ في كسب الخطايا ... خطاه أما آن الأوان لأن تتوبا[1]

أخي :

يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية ؟! .

يا كثير المعاصي ابك على الذنوب الماضية ، يا مبارزاً بالقبائح أتصبرُ على الهاوية ، أسفاً لك إذا جاءك رمضان وما أنبت ، واحسرةً لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت ، كيف تصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبت ، ألست الذي بارزت بالكبائر وما راقبت .

قد مضى في اللهو عمري ... وتناهى فيه أمري
شمر الأكياس وأنا ... واقف قد شيب أمري
بان ربح الناس دوني ... ولحيني بان خسري
ليتني أقبل وعظي ... ليتني أسمع زجري
كل يوم أنا رهن ... بين آثامي ووزري
ليت شعري هل أرى لي ... هِمَّة في فك أسري
أو أُرى في توبة صدق ... قبل أن أنزل قبري
ويح قلبي من تناسيه ... مقامي يوم حشري
واشتغالي عن خطايا ... أثقلت واللّه ظهري

---

(١) الإمام الصرصري .

يا إخوتاه :

مـآثـم المذنـبـين مـا تـنـقـضـي ... آخر الدهر أو يحلّوا اللحودا

وحـقـيـق أن يـنـوحـوا ويـبـكـوا ... قد عـصـوا ماجداً رءوفا ودودا

كـل ثـكـلـى أحـزانـهـا لـنـفـاد ... ولـنـا الحزن قـد نـراه جـديـدا

كـيـف تـفـنـى أحـزان مـن ... عاهد اللّه مراراً وخان منه العهودا

ويـح نـفـسـي مـا أقـول إذا مـا ... أحـضـر اللّه رُسله لـي شـهـودا

ثم قال اقرأ ماذا عملت وجاوز ... ت بمـا كـان مـنـك الحدودا

ثم تخفي لما استترت من الخلـ ... ـق وبـارزتـنـي وكـنـت شـهـيـدا

* « أيها التائب لا تستصحب إلا حزيناً يبكيك ، ما يصلح لمرافقة الثكلى إلا مثلها ، لما خرجت أزهار الربيع طلب الورد رفيقاً من النبات يأنس به ، لما نبت ، فأبت كلها عن صحبته ، وقالت : أنت ملول لا تقيم على مودة ، فصاح به الياسمين أنت صاحبي قد اشتركت في قصر العمر ، فأشر أنت إلى التائب باحمرار الخجل ، حتى أشير أنا إلى الخائف باصفرار الوجل ، لو علم الورد قصر عمره ما تبسم وكذا الوغد ، أيها المذنب قف بالباب إذا نام الناس ، وابسط لسان الاعتذار ، ونكس الرأس وقل ليس عندي سوى الفقر والإفلاس .

يـا سـنـدي وسـيـدي ومـددي ... قد أوهن طردكم وبعدي جلدي[1]

التائبون العابدون « سجع »

* سبحان من وفّق للتوبة أقواماً ، ثبت لهم على صراطها أقداماً ، كفوا الأكف عن المحارم احتراماً ، فكفر عنهم ذنوباً وآثاماً ونشر لهم بالثناء على ما عملوا أعلاماً ، فهم على رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون « التائبون العابدون » .

---

(١) « رؤوس القوارير » (ص ١٥١) .

* ندموا على الذنوب فَنُدبوا ، وسافروا إلى المطلوب فاغتبروا ، وسَقَوا غرس الخوف دمع الأسف وشربوا ، فإذا أقلقهم الحذر طاشوا وهربوا ، وإذا هبّ عليهم نسيم الرجاء عاشوا وطربوا ، فتأمل أرباحهم وتلمّح ما كسبوا ، واعلم أن نيل النصيب بالنصيب يكون « التائبون العابدون » .

* نظروا إلى الدنيا بعين الاعتبار ، فعلموا أنها لا تصلح للقرار ، فنغصوا بالصيام لذة الهوى بالنهار ، وبالأسحار هم يستغفرون « التائبون العابدون » .

* أبدانهم قلقى من الجوع والضرر ، وأجفانهم قد حالفت في الليل السهر ، ودموعهم تجري كدائمة المطر ، تأهب القوم فهم على أقدام السهر ، عبروا عليكم ومروا لديكم وما عندكم خبر ، وترنمت حداتهم لو تسمعون « التائبون العابدون » .

يا رب سِرْ بنا في سَرْب النجابة ، ووفقنا للتوبة والإنابة ، وافتح لأدعيتنا أبواب الإجابة ، يا من إذا سأله المضطر أجابه ، يا من يقول للشيء كن فيكون .

« التائبون العابدون » .

* * *

رمضان شهر الجود والإحسان

يا إخوتاه : هذا شهر الجود والمواساة ، والجود من معالي الأخلاق .

قال ﷺ : « **إن اللّه كريم يحب الكرماء ، جواد يحب الجودة ، يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها** »[(١)] .

وقال ﷺ : « **إن اللّه تعالى جواد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **إن اللّه كريم يحب الكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها** »[(٣)] .

وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ عن ربه قال : « **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** »

واللّه سبحانه وتعالى أجود الأجودين ، وجُوده يتضاعف في أوقات خاصة : كشهر رمضان ، وفيه أنزل : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ الآية .

رمضان شهر العتق من النيران :

ومن سابغ جود اللّه وعظيم كرمه تفضله في هذا الشهر بعتق عباده من النيران .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، والحاكم في « المستدرك » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن سهل بن سعد ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٨٠٠) .

(٢) صحيح : رواه البيهقي في « شعب الإيمان » عن طلحة بن عبيد اللّه ، وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٧٤٤) .

(٣) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم والحاكم ، والبيهقي في « الشعب » عن سهل بن سعد وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٨٠١) .

وفي حديث أبي هريرة : « ... وينادي منادٍ : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة ».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لله عند كل فطر عتقاء »[1] .

رسول الله ﷺ أجود الناس :

وقد جبل الله نبيه ﷺ على أكمل الأخلاق وأشرفها ، وكان ﷺ أجود بني آدم .

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وزاد أحمد في آخره « لا يسأل عن شيء إلى أعطاه » .

قال ابن حجر في « الفتح » (٤ / ١٣٩) : « قال الزين بن المنير : وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة ، أيْ فيعم خيره وبره مَنْ هو بصفة الفقر والحاجة ، ومَنْ هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعمّ الغيث الناشئة عن الريح المرسلة » .

*وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس ، وأجود الناس .

« وكان جوده بجميع أنواع الجود ، من بذل العلم والمال ، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه ، وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريق ، من إطعام

---

(١) صحيح : قال المنذري : رواه أحمد بإسناد لا بأس به ، والطبراني والبيهقي ، وقال : هذا حديث غريب من رواية الأكابر عن الأصاغر ، وهو رواية الأعمش عن الحسين بن واقد وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٩١) .

جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم ، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة .

* وفي « صحيح مسلم » عن أنس قال : « ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، فجاء رجل فأعطاه ، فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وفي رواية : « يعطي عطاء ما يخاف الفقر » .

قال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها .

* وفيه أيضاً عن صفوان بن أمية قال : « لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ » .

قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة .

* وفي مغازي الواقدي : أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءً إبلاً ونعماً فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي .

* وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم أن الأعراب علقوا بالنبي ﷺ مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال : **« لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً »** .

* وفيهما عن جابر قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال لا ، وأنه قال لجابر : **« لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وقال بيديه جميعاً »** .

* وخرج البخاري من حديث سهل بن سعد أن شملة أهديت للنبي ﷺ فلبسها وهو يحتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه فلامه الناس وقالوا كان محتاجاً

إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلاً فقال : إنما سألتها لتكون كفني فكانت كفنه[١] .

* وعن ابن مسعود قال : دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صُبْرة من تمر فقال : « **ما هذا يا بلال ؟** » قال : أعد ذلك لأضيافك ، قال : « **أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم ؟ ! أنفق بلال ! ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً** »[٢] .

وعند الطبراني قال : « **أما تخشى أن يفور له بخار في نار جهنم ؟ !** » .

وعن أنس أيضاً قال : كان رسول اللَّه ﷺ لا يدخر شيئاً لغد[٣] .

وعن سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول : « **إني لألج هذه الغرفة ما ألجها إلا خشية أن يكون فيها مال فأتوفى ولم أنفقه** »[٤] .

قال ابن رجب :

« كان جوده ﷺ كله للَّه وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج أو ينفقه في سبيل اللَّه أو يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه ، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع ، وكان قد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال : « **لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع** »[٥] .

---

(١) « لطائف المعارف » (ص ١٧٣ - ١٧٤) .

(٢) صحيح : رواه البزار بإسناد حسن والطبراني في « الكبير » ، قاله المنذري وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩١٢) .

(٣) صحيح : قال المنذري : رواه ابن حبان في « صحيحه » ، والبيهقي ، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٣٠) .

(٤) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسنه المنذري والألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٢١) .

(٥) « لطائف المعارف » (١٧٥) .

وقال أيضاً : « كان ﷺ بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك ، فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي جاء به وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الأخلاق ، وقد كان رسول اللّه ﷺ هذا الكتاب له خلقاً بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه ، ويمتنع مما زجر عنه فلهذا كان يتضاعف جوده وأفضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود ، ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالطة .

كان بعض الشعراء قد امتدح ملكاً جواداً فأعطاه جائزة سنية فخرج بها من عنده وفرّقها كلها على الناس وأنشد :

لمستُ بكفي كفه أبتغي الغنا ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فبلغ ذلك الملك فأضعف له الجائزة .

وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجواد ولا يصلح أن يكون ذلك إلا لرسول اللّه ﷺ :

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق اللّه سائله

سمع الشبلي قائلاً يقول : يا اللّه ... يا جواد ، فتأوه وصاح وقال : « كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول في شكله فذكر هذه الأبيات ثم بكى ، وقال : بلى يا جواد فإنك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم فأنت الجواد كل الجود . فإنهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ولا صفة ، فيا جوادا يعلوا

كل جواد وبه جاد كل من جاد »[١] .

* وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة :

* منها شرف الزمان ومضاعفة أجر العامل فيه .

* ومنها إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم .

وفي حديث زيد بن خالد رضي اللَّه عنه ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً** »[٢] .

وفي حديث آخر : عن زيد بن خالد رضي اللَّه عنه قال ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **من فطر صائماً ، أو جهز غازياً ، فله مثل أجره** »[٣] .

* ومنها أن شهر رمضان شهر يجود اللَّه فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لا سيما في ليلة القدر .

واللَّه تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال ﷺ : « **إنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء** » فمن جاد على عباد اللَّه جاد اللَّه عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل .

* ومنها أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما جاء في حديث علي رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « **إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها قالوا : لمن هي يا رسول اللَّه قال : لمن طيّب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام** » ، وهذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام .

---

(١) « لطائف المعارف » (ص ١٧٥ – ١٧٦) .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » ، والترمذي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤١٥) .

(٣) رواه البيهقي في « سننه » وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤١٤) .

قال بعض السلف : الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق والصيام يوصله إلى باب الملك والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **من أصبح منكم اليوم صائماً** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **من تبع منكم اليوم جنازة** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **من تصدق بصدقة** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن عاد منكم مريضاً** » قال أبو بكر : أنا ، قال : « **ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة** » .

* ومنها أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم : والمباعدة عنها وخصوصاً إذا ضم إلى ذلك قيام الليل .

فالصيام جنة ، وفي حديث معاذ : « **الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وقيام الرجل من جوف الليل** » يعني أن يطفيء الخطيئة أيضاً وقد صرّح بذلك في رواية الإمام أحمد .

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » .

* ومنها : الصدقة تجبر ما في الصوم من خلل : إن الصيام لابد أن يقع فيه خلل أو نقص ، وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه .

وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي ولهذا نهى أن يقول الرجل : صمت رمضان كله أو قمته كله .

فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل ، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث .

والصيام والصدقة لهما مدخر في كفارات الأيمان ومحظورات الإحرام وكفارة الوطء في رمضان ولهذا كان الله تعالى قد خيّر المسلمين في ابتداء الأمر بين الصيام وإطعام المسكين ثم نسخ ذلك وبقي الإطعام لمن يعجز عن الصيام لكبره .

ومن أخّر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر فإنه يقضيه ويضم إليه إطعام مسكين لكل يوم تقوية له عند أكثر العلماء ، كما أفتى به الصحابة .

وكذلك من أفطر لأجل غيره كالحامل والمرضع على قول طائفة من العلماء .

* ومنها « أن الصائم يدع طعامه وشرابه للَّه ، فإذا أعان الصائمين على التقوّي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة للَّه وآثر بها أو واسى منها ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر لأن الطعام يكون محبوباً له حينئذ فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه ، ويكون في ذلك شكر للَّه على نعمة إباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه إياه فإن هذه النعمة إنما عرف قدرها عند المنع منها »[1] .

مواساة السلف :

كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون :

* كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً ، وكان يتصدق بالسكر ويقول : « سمعت اللَّه يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ واللَّه يعلم أني أحب السكر » .

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول : من يقرض الملي الوفي الغني ؟ فقال : عبده المعدم من الحسنات . فقام وأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاوياً .

* وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً .

* وكان الحسن يُطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ويجلس يروّحهم وهم يأكلون .

* وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم .

---

(١) « لطائف المعارف » (ص ١٧٧ - ١٧٨) .

سلام الله على تلك الأرواح ، رحمة الله على تلك الأشباح ، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار ، كم بيْنٌ من يمنع الحق الواجب عليه وبين أهل الإيثار .

لا تقعدن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

*** وله فوائد أخر :**

قال الشافعي رضي الله عنه : أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم وكذا قال القاضي أبو يعلى وغيره من أصحابنا أيضاً »[1] .

يا إخوتاه :

قال ﷺ : « **أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن السرور ، أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً** »[2] .

*وقال ﷺ : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً** .... الحديث »[3] .

*وقال ﷺ : « **خير الناس أنفعهم للناس** »[4] .

*وقال ﷺ : « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار** »[5] .

---

(١) « لطائف المعارف » (ص ١٧٨ - ١٧٩) .

(٢) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة ، وابن عدي عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (رقم ١٠٩٦) .

(٣) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والطبراني في « الكبير » عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٦) .

(٤) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » ، والدارقطني ، والبيهقي في « شعب الإيمان » وابن عسكر والقضاعي عن جابر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٨٩) .

(٥) رواه أحمد ، والبخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة .

* وقال ﷺ : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفياً تطفيء غضب الرب ، وصلة الرحم زيادة في العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة » (١) .

أخي : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ قال : أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (٢) .

* وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام » (٣) .

* وقال ﷺ : « ليس صدقة أعظم أجراً من ماء » (٤) .

يا هذا اسمع إلى حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر ، فوجد بئراً ، فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ؛ يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه حتى رَقِيَ ، فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » قالوا : يا رسول الله ! إن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : « في كل كبد رطبة أجر » (٥) .

أو هذا الحديث .. قال ﷺ : « بينما كلب يطيف (٦) بركيه (٧) ، كاد يقتله العطش ، إذا رأته بغيّ من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت مُوقها فاستقت له ، فغفر لها » .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الأوسط » عن أم سلمة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٧٩٦) .
(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي .
(٣) حسن : رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٣٧) .
(٤) رواه البيهقي وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٤٩) .
(٥) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم ، والنسائي .
(٦) يدور .
(٧) بئر .
(٨) خفها الذي تلبسه في قدمها .

أو « **غُفر لامرأة مومسة ، مرّت بكلب على رأس ركي يلهث ، كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها ، وأوثقته بخمارها ، فنزعت**[١] **له من الماء ، فغفر لها بذلك** » .

هذا في كلب ، فما ظنك الصائم الطائع لربه ، وما ظنك بعظيم المغفرة حتى المومسة .

يا أخي ... قال ﷺ : « **إن للَّه تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ، ويقرّها فيهم ما بذلوها ، فإذا منعوها ، نزعها منهم ، فحولها إلى غيرهم** »[٢] .

* يا أخي : الصدقة والإطعام باب لرفعة الدرجات .

قال ﷺ : « **وأما الدرجات : فإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام** » وكلها في رمضان .

* أختي الصائمة : تصدقي بطعام بيتك ولا تجاوزي المعتاد إن كان ذلك يغضب زوجك .

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال : « **إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً** »[٣] .

* أخي : ... قال ﷺ : « **داووا مرضاكم بالصدقة** »[٤] .

عن عليّ بن الحسين بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك وسأله رجل : يا أبا عبد الرحمن ! قرحة خرجت من ركبتي منذ سبع سنين ، وقد عالجت بأنواع العلاج ، وسألت الأطباء ، فلم أنتفع به ؟ قال : اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس للماء فاحفر هناك بئراً فإنني أرجو أن ينبع هناك عين ، ويمسك عنك الدم ، ففعل الرجل فبرئ »[٥] .

---

(١) أخرجت .

(٢) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن عمر ، ورواه تمام ، والخطيب وابن عساكر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٦٤) .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، واللفظ له ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان .

(٤) حسن : رواه أبو الشيخ في « الثواب » عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٥٨) .

(٥) رواه البيهقي وذكره الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (١ / ٤٠١) .

* أخي : في صومك تذكر قول عبيد بن عمير : « يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط ، فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ، ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ، ومن كسا لله عز وجل كساه الله » .

* وقال الشعبي : « من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه » .

أخي : ما قدر كسرة تعطيها ، أو ما سمعت أن الرب يربيها ؟ فيراها صاحبها كجبل أحد ، أفيرغب عن مثل هذا أحد ؟! .

ما قدر لقمة لا يبالي بها أحد حتى يصير كجبل أُحد ؟! ... واعجباً للقمة كانت قليلة فكثرت ، وفانية فبقيت .

إن اللقمة إذا أُكلت صارت أذى وقبائح في الحش ، وإذا تصدق بها صارت إذاً مدائح عند العرش .

* إن تطوعات البدن لا تتعدى المتطوع ، وإن نفع الصدقة متعدد متنوع .

من فطر صائماً قد صبر من عشائه إلى فجره فله مثل أجره .

* أما تعلم أن الصدقة تزيد في العمر ، ثم إنها والله سريعة الخلف ، وحافظة بعد الموت للخلف ، واعلم أن إنفاق كل حبة يثمر لك الوفاق والمحبة .

« في كل سنبلة مائة حبة .. » .

وفي شهر الجود والمواساة نهدي هذه القصيدة لمن أداموا الشبع والجشاء :

الجوع ... الجوع !!

يموتُ المسلمون ولا نُبَالي ... ونهرِفُ[1] بالمكارم والخِصالِ

ونحيَا العُمْرَ أوتاراً وقَصْفاً ... ونحيا العمرَ في قِيلٍ وقالِ

---

(١) نهرف : نهذي (من الهذيان) يقال : يهرف بما لا يعرف [المعجم الوجيز] مادة هرف .

ونـنـسـى إخـوةً فـي الـلَّـهِ ذَرَّتْ ... بهم كفُّ الزمان على الرِّمالِ

تُمَـزِّقُـهـم نُـيُـوبُ الجـوعِ حـتـى ... يكـاد الـشـيـخُ يَـعْـثُـرُ بِـالـعِـيَـالِ

يَـشُـدُّون الـبُـطـونَ عَـلَـى خَـوَاءٍ ... وَيـقْـتَـسِـمُـون أرْغِـفَـةَ الخَـيَـالِ

وتَـضْـرِبـهـم رِيَـاحُ المـوتِ هُـوجـاً ... وفـي أحْـداقِـهـم نَـزْفُ الـلـيـالـي

ونَـامـوا فـي الـعـراءِ بِـلا غِـطـاءٍ ... وسـاروا فـي الـعـراءِ بِـلا نِـعَـالَ

كـأن الـبـيـدَ تَـلْـفِـظُـهُـم فَـتَـجْـري ... بـهـم بـيـد إلـى بـيـدٍ خَـوَالِ

يَـسـيـلُ لُـعَـابُـهـم لَـهَـفـاً وتَـذْوِي ... عـيـونُـهُـمْ عـلـى جَـمْـرِ الـسـؤالِ

وَلَـيْـتَ جراحَهم في الجسم لكِنْ ... جـراحُ الـنـفـس أقْـتـلُ لـلـرّجـالِ

يَمُـدُّون الحـبـالَ وَلَـيْـتَ شِـعـري ... انَـقْـطعُ أمْ سَـنُـمْـسِـك بـالحـبـال ؟

وقـبـل الجـوع تَـنْـهَـشُـهـم كِـلابٌ ... مـن الإفـرِنْـجِ دامـيَـةُ الـنِّـصَـالِ

يَـؤُدُّونَ الـضـريـبـة كـلَّ يـومٍ ... بِمَـا مَـلَـكُـوا وديـنُ الـلَّـهِ غـالِ

صِـلابٌ إنمـا الأيـامُ رُقْـطٌ ... (وَيَثْنِي الجوعُ أعْناقَ الرّجالِ)

أتَـوْا لـلـشَّـرْق عَـلَّ الـشرق دَرْءٌ ... إذا بـالـشـرق يَـنْـفُـر كـالـثَّـعَـالـي

لماذا كـلُّ طـائِـفَـةٍ أغـاثَـتْ ... بَـنـيـهَـا غَـيْـرُكـم أهْـلَ الـهِـلال!؟

تَـرَى الـصُّـلْـبان قد نَفَرَتْ وهَبَّتْ ... يـهـودٌ بـالـدَّواءِ وبـالـغِـلالِ

هَـبُـوهُـم بـعـضَ سَـائـمـةِ الـبَـرَارِي ... هَـبُـوهُـم بـعـضَ سـابِـلـةِ الـنِّـمـالِ

نَـسـيـتُـم « واتَّـقـوا يـومـاً ثـقـيـلاً » ... بـه الـنـيـرانُ تَـقْـذِفُ كـالجـبـالِ ؟!

تَـفُـورُ وتَـزْفَـرُ الأحـشـاءُ زَفْـراً ... كـأن شـرارَهـا حُـمْـرُ الجـمـالِ

ونـحـن المـسـلـمـيـنَ نـنـامُ حـتـى ... يَـضِـيـقَ الـدَّهـرُ بـالـنَّـوْمِ الخَـبَـالِ

جَلَسْتُم والآرائك فَاخِراتٌ ... وأوْجفْتُم[١] على الفُرُشِ الغَولي

وَرَصَّعْتُم قُصُورَكُمْ مَرايَا ... لِتَنْطِقَ بِالْبَهَاءِ وبِالجَمَالِ

ومَاجَ العطرُ وائتلقت جِنانُ ... كأنَّ العُمْرَ ليْس إلى زَوالِ !!

نَنَامُ على « الرِّيالِ » وإن صَحَوْنا ... فإنَّ الفجرَ فاتحةُ الرِّيَالِ[٢]

* * *

(١) أوْجَفَ : أسرع في السير ، استوجفه : ذهب به ، يقال : استَوْجَفَ الحُبُّ فُؤاده .

(٢) الرِّيال نوع من المسكوكات الفضية ، من ديوان « إنها الصحوة إنها الصحوة » لمحمود مفلح دار الوفاء .

رمضان شهر فتح أبواب الجنان

* عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : **« إذا جاء رمضان ، فُتِّحتْ أبواب الجنة ، وغُلِّقت أبواب النار وصُفدت الشياطين »** [(١)].

وفي رواية لمسلم : **« فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »** .

* وقال ﷺ : **« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفّدت [(٢)] الشياطين ، ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادِ منادٍ : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، وللّه عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »** [(٣)] .

وفي رواية ابن خزيمة : الشياطين مردة الجن أي بغير واو .

* وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« أتاكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، فرض اللّه عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين ، للّه فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » [(٤)] .

اعلم يا أخي أن فتح أبواب الجنة في رمضان حقيقة لا تحتاج إلى تأويل وهذه نعمة عظيمة ومنة كريمة من اللّه يتفضل بها على عباده في هذا الشهر فأبواب الجنان مغلقة لا تفتح إلا في تمام النعمة .

يقول ابن القيم رحمه اللّه في قوله تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها** ﴾ الآية [الزمر : ٧٣] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) صفدت : بضم الصاد وتشديد الفاء أي شدّت بالأغلال .

(٣) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » ، والبيهقي عن أبي هريرة .

(٤) حسن : رواه النسائي والبيهقي عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » رقم (٩٨٩ ج ٤١٨١) .

« أما الجنة فإنها دار اللّه ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ﷺ فيقول : **« أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها وإظهاراً لمنزلة رسوله ﷺ وكرامته عليه »** وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن اللّه تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم ، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة اللّه عالية غالية بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به فما لمن اتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه الأماني ولهذه الدار فليبعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيئ له .

وهنا يدرك الإنسان قيمة فتح أبواب الجنة في رمضان .

عجباً لمن يعلم أن الجنة فوقه موجودة تزخرف وتفتح أبوابها في رمضان ثم لا يشتاق إليها ويسعى لها على الأجفان .

قال ﷺ : **« من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة اللّه غالية ألا إن سلعة اللّه الجنة »** .

فاحذر أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض وليس لك فيها موضع قدم .

إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام ، والوحوش والأنعام ، فأما الجنة فهي الحياة اللائقة بذلك الإنسان الكريم على اللّه وأودع روحه الإيمان الذي ينزع به إلى السماء وإن استقرت على الأرض قدماه .

إن مستوى النعيم في هذه الدنيا معروف ، ومستوى النعيم هناك يليق بالخلود ، فأين غاية من غاية ؟! .

إنها الجنة التي غرس غراسها الرحمن بيده .... إنها الجنة الجزاء الرفيع الخالص الفريد ، الجزاء الذي يتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة ، والإعزاز الذاتي ، والإكرام الإلهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٧] .

حفاوة من اللّه سبحانه وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة هذا المذخور لا يطلع عليه أحد سواه ، والذي يظل عنده خاصة مستوراً حتى يكشف لأصحابه عند لقياه .

يا اللّه ! كم ذا يفيض اللّه على عباده من كرمه [١] .

إنها الجنة التي لا يسأل بوجه اللّه العظيم غيرها لكرامتها على اللّه .

إنها الجنة التي اشتاق إليها الصالحون من هذه الأمة فسلوا عنها جعفر الطيار وعمير بن الحمام وحرام بن ملحان وأنس بن النضر وعامر بن أبي فهيرة وعمرو بن الجموح وعبد اللّه بن رواحة .

إنها الجنة دار كرامة الرحمن فهل من مشمر لها .... إنها الجنة فاعمل لها بقدر مقامك فيها .... إنها الجنة فاعمل لها بقدر شوقك إليها .

فواعجبا لها كيف نام طالبها ، وكم لم يسمح بمهرها في رمضان خاطبها ، كيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها .

إنها الجنة دار الموقنين بوعد اللّه المتهجدين في ليل رمضان ، الصائمين نهاره ، المطعمين عباد اللّه وهذا من موجبات الجنة .

---

(١) قول لابن السماك .

قال ﷺ : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قالوا لمن هي يا رسول الله . قال : لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام »

تسعى بهم أعمالهم سوقاً إلى ... الجنات سوق الخيل بالركبان
صبروا قليلاً فاستراحوا دائماً ... يا عزة التوفيق للإنسان
حمدوا التقى عند الممات كذا السرى ... عند الصباح فحبذا الحمدان
وحدت بهم عزماتهم نحو العلى ... وسروا فما نزلوا إلى نعمان
باعوا الذي يفنى من الخزف الخسيس ... بدائم من خالص العقيان
رفعت لهم في السير أعلام السعا ... دة والهدى يا ذلة الحيران
فتسابق الأقوام وابتدروا لها ... كتسابق الفرسان يوم رهان

إنها الجنة ... « ما حليت لأمة من الأمم مثلما حُلِّيتْ لأمتنا هذه ومع هذا لا نرى لها عاشقاً ».

وأخو البصيرة حاضر متيقظ ... متفرد عن زمرة العميان
يسمو إلى ذاك الرفيق الأرفع ... الأعلى وخلّى اللعب للصبيان

إنها الجنة ...

لو كنت تعلم من خطبت ... ومن طلبت جعلت السعي منك لها على الأجفان
حور تزف إلى ضرير مقعد ... يا محنة الحسناء بالعميان [(١)]

إنها الجنة ... وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص .

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها

---

(١) انظر جمعي « شذا الريحان ذكر جنة الرحمن » .

فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر .

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها .

* وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار ، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منهما سماع خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن أزواجهم فهن الخيرات الحسان اللاتي كالياقوت والمرجان .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها أفما تعدُّ مهرها من الآن .. وهو طول التهجد بالقرآن في ليل رمضان ، وخلوف الفم بالنهار من آثار الصيام .

عجباً لك إن نبي اللّه موسى خدم العبد الصالح عشر سنوات مهراً لزواجه من ابنته ، فكم تخدم مولاك لأجل بنات الجنان الحور الحسان ، فواللّه ما انتقلن من الجنة ولا أكلن منها ولا خلقن إلا فيها من ترك دفء الفراش في ليل رمضان كان جزاؤه من جنس عمله وزوّج من الحور الحسان ، أما علمت يا أخي أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها وحراسها ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد فذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد .

فيا لذة الأسماع بأطيب محاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم

في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الآخرة ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة ◦ إلى ربها ناظرة ◦ ووجوه يومئذ باسرة ◦ تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾[القيامة : ٢٢ - ٢٥] .

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

فلله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الحزن يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم

أحبتنا عطفا علينا فإننا ... بنا ظمأ والمورد العذب أنتم

* * *

رمضان شهر غلق أبواب النيران

مَرّ بك في الحديث أنه في شهر رمضان تغلق أبواب النار فما يفتح منها باب فما أطيبها من نعمة يمن الله بها على العباد . حين يغلق الشر بحذافيره ..

أخي : عجباً لمن علم أن النار تسجر ويضحك ملء فيه ، أما سمع أن النار « أعدت للكافرين » ﴿ إن جهنم كانت مرصاداً * للطاغين مآبا ﴾ [النبأ : ٢١ - ٢٢] .

وقوله ﷺ : « وأيم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيت ، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً » . قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : « رأيت الجنة والنار » (١) .

النار التي رآها رسول الله ﷺ يحطم بعضها بعضاً والتي قال عنها ﷺ لما رآها « لم أر منظراً كاليوم قط أفظع » فالنار مخلوقة ومعدة فإياك أن تكون من وقودها .

« فيا أيها الغافل عن نفسه ، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردك ، فإنك أخبرت بأن النار مورد الجميع إذ قال : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم : ٧١ - ٧٢] .

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك . فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق ، وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب . وخرج المنادي من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع حديد ، ويستقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ،

---

(١) رواه مسلم عن أنس .

مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ، طعام أهلها الزقوم ، وشرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي ، واسودت وجوهم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ، ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ، فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان » .

يا هذا : أحدثك عن نار غم قرارها ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة أمورها ، عقابها عميم ، عذابها أليم ، بلاؤها شديد ، وقعرها بعيد ، سلاسل وأغلال ، ومقامع وأنكال ، زمانهم ليل حالك ، ضجيجهم ضجيج هالك ، يصطرخون فيها فلا يجيبهم مالك » .

يدعون بالويل والثبور ، ومقامع الحديد تهشم بها جباهم ، ويتفجر الصديد من أفواههم ، تنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، لهيب النار سار في بواطن أعضائهم وحيات الهاوية وعقاربها تأخذ بأشفارهم .

يا هذا : جهنم سوداء ماؤها أسود شجرها أسود ، أهلها سود مقبوحون ، كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً .

أخي :

عياذا بالله : أن تكون من قوم لباسهم نار ومهادهم نار لُحُفٌ من نار وسرابيلهم القطران ومساكن من نار في شر دار وأسوء عذاب أكلاً أكلاً وحطماً حطماً قد أكلوا من النار ، ومشوا على النار ثم عاشوا بعد ذلك . لا يهدأون ولا ينامون ولا يموتون .

فيها غلاظ شداد من ملائكة ... قلوبهم شدة أقسى من الحجر

لهم مقاميع للتعذيب مرصدة ... وكل كسر لديهم غير منجبر

سوداء مظلمة شعثاء موحشة — دهماء محرقة لواحة البشر

يا ويلهم تحرق النيران أعظمهم — فالموت شهوتهم من شدة الضجر

ضجّوا وصاحوا زماناً ليس ينفعهم — دعاء داع ولا تسليم مصطبر

وكل يوم لهم في طول مدتهم — نزع شديد من التعذيب والسعر

يا هذا يا صبيح الوجه : كم من وجه صبيح ولسان فصيح غداً بين أطباق النار يصيح .

وسيق المجرمون وهم عراة — إلى ذات السلاسل والنكال

فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً — وعجوا في سلاسلها الطوال

فليسوا ميتين فيستريحوا — وكلهم بحرِّ النار صال

أخي : إنك قد جربت جلدك في الشوكة تدميه ، في العثرة تؤذيه ، في ضربة الشمس تؤثر فيه .... أحدنا يؤثر الظل على الشمس فما بالنا لا نؤثر الجنة على النار .

فيا عجبا ندري بنار وجنة — وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر

إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا — فماذا بقي فينا من الخير يذكر

وليس لحر صابرين ولا بلى — فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حسرة — على تلك فليستحسر المتحسر

يا من يؤذيك حر الهجير ويأخذ بأنفاسك .... أما سمعت قول رسولك ﷺ : **« لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون ، وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لاحترق المسجد بمن فيه »** (١) .

يا جميل المُحيا .. أما سمعت قول نبيك ﷺ : **« ضرس الكافر ، أو ناب الكافر ، مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث »** (٢) .

---

(١) « المطالب العالية » رقم (٤٦٦٧) .

(٢) رواه مسلم والترمذي والحاكم وابن حبان وأحمد عن أبي هريرة .

وقوله ﷺ : **« ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وعرض جلده سبعون ذراعاً ، وعضده مثل البيضاء ، وفخذه مثل وَرْقان ، ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة »** [(١)] .

« ليكون ذلك أنكى في تعذيبهم ، وأعظم في تعبهم ولهيبهم يا حَسَنَ المطعم والمشرب : تذكر قول اللّه عز وجل : هذا فليذوقوه حميم وغساق » .

وتذكر قول نبيك ﷺ : **« لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه »** [(٢)] .

فهل تصبر على الزقوم والغسلين والضريع وطعام ذي غصة ؟! .

ويا من غذي بلذيذ الشراب أين أنت من الحميم والغساق وطينة الخبال والصديد ؟! .

« يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر على صور الناس تعلوهم نار الأنيار يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » .

ألبسوا النضيح من النحاس ، وضعوا خروج الأنفاس ، فالأنفاس في أجوافهم تتردد ، والنيران على أبدانهم توقد ، قد أطبقت عليهم الأبواب ، وغضب عليهم رب الأرباب ، وقيل للخزان أن أطبقوا وقيل للنيران أن أحرقي ... يا نار كلي ، يا نار أنضجي ، كلي ولا تقتلي » [(٣)] .

« توهم نفسك يا أخي وأنت تطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين النار أبداً ، فلما اشتد بك الكرب وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان ، فهاجت غصة من فؤادك إلى حلقك أسفاً على جوار اللّه عز وجل وحزناً على نعيم الجنة وبرد مائها وطيب عيشها ، تسأل أهل الجنة شراباً فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك حسرة بما خيبوا من أملك ، ففزعت إلى اللّه بالنداء بالمرجع والعتبى أن يردك إلى الدنيا فمكث عنك دهراً طويلاً فلا يجيبك هواناً بك ، وأن صوتك عنده ممقوت ، وجاهك عنده ساقط ، ثم ناداك بالخيبة منه أن **﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾** .

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » والحاكم وصححه الحاكم والذهبي والألباني في « الصحيحة » (٣ / ٩٤) .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس .

(٣) من رسالة « نار الخلود بئس الورد المورود » من جمعي وهي تحت الطبع .

فيا إياسك ويا إياس أهل النار وقد سمعوا رجوف أبوابها قد أغلق ، وانقطع الرجاء ألا فرج أبداً ، ولا مخرج منها ، عذاب لا زوال له عن بدنك ، ودوام حرق قلبك ومضضك ، أحزان لا تنقضي وهموم لا تنفد ، وسقم لا يبرأ ، وقيود لا تحل ، وأغلال لا تفك أبداً ، وعطش لا يروون بعده أبداً ، كرب لا يهدأ أبداً ، لا يرحم بكاؤهم ، ولا يجاب دعاؤهم .

« إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم جرت ، وإنهم ليبكون الدم »[1] لا يغاثون عند تضرعهم ، ولا تقبل توبتهم ، ولا تقال عثرتهم ، فتوهم ذلك بعقل فارغ ، رحمة لضعفك ، وارجع عما يكره مولاك ، وترضي ربك عسى أن يرضى عنك ، وأعِذْ به بعقلك ، واستقله يقلل عثرتك ، وابك من خشيته عسى أن يرحمك ، فإن الخطر عظيم ، وإن البدن ضعيف ، والموت منك قريب ، فاحذر اللّه وخفه واستح منه وأجله ، ولا تستخف بنظره ، ولا تتهاون باطلاعه ، وأجلّ مقامه عليك ، وعلمه بك ، فلا طاقة لك بغضبه ، ولا قوة لعذابه ، ولا صبر لك على عقابه ، ولا صبر عندك عن جواره ، فتدارك نفسك قبل لقائه ، فكأنك بالموت قد نزل بك بغتة فتوهم ما وصفت لك فإنما وصفت بعض الجمل ، فتوهم ذلك بعقل فارغ موقن عارف بما قد جنيت على نفسك ، وما استوجبت بجنايتك ، وفكر في مصيبتك في دينك ، وليرِ اللّه عز وجل عليك أثر المصيبة لعله أن يرحمك فيتجاوز عنك بمغفرته وعفوه .... جعلنا اللّه وإياك من زمرة العابدين الخائفين ، وأقطعنا عمالات المتقين »[2] .

* * *

(١) حسن : رواه الحاكم في « المستدرك » عن أبي موسى ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٣٢) .

(٢) « التوهم » للمحاسبي بتصرف .

رمضان شهر الصبر والتربية

والصبر جواد لا يكبو ، وصارم لا ينبو ، وجند لا يهزم ، وحصن حصين لا يهدم ، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ، ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد .

*وقد ضمن الوفيّ الصادق لأهله في محكم الكتاب ، أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب .

* وأخبرهم أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين ، فقال تعالى : ﴿ **واصبروا إن اللّه مع الصابرين** ﴾[الأنفال : ٤٦] ، فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة .

*وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين ، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [السجدة : ٢٤] .

*وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمين ، فقال تعالى : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[النحل : ١٢٦] .

*وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن اللّه بما يعملون محيط** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

* وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه وصّلاه إلى محل العز والتمكين فقال : ﴿ **إنه من يتق ويصبر فإن اللّه لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[يوسف : ٩٠] .

*وعلّق الفلاح بالصبر والتقوى ، فعقل ذلك منه المؤمنون ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللّه لعلكم تفلحون** ﴾[آل عمران : ٢٠٠] .

*وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى : ﴿ **واللّه يحب الصابرين** ﴾[آل عمران : ١٤٦] .

* ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ۝ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

* وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ [البقرة : ٤٥] .

* وجعل الفوز بالجنة لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى : ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ [المؤمنون : ١١١] .

* وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها إلا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ [القصص : ٨٠] .

* وأخبر أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم ، وأن هذه الخصلة لا يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

* وأخبر سبحانه خبراً مؤكداً بالقسم : ﴿ **إن الإنسان لفي خسر ۝ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر : ٢ ، ٣] .

* وقسّم خلقه قسمين أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة ، وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر والمرحمة .

* وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور .

فقال في أربع من آياته : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ .

* وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر ، وذلك على من يسّره يسير فقال : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾ .

* وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور ، فقال : ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ [الشورى : ٤٣] .

* وأمر رسول الله ﷺ بالصبر والحكمة ، وأخبر أن صبره إنما هو لربه وبذلك جميع المصائب تهون .

فقال : ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾[الطور : ٤٨] .

وقال : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾ [النحل : ١٢٧] .

والصبر آخية [1] المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها ، وساق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها .

قال ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » [2] .

* وقال ﷺ : « **ما رزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر** » [3] .

* قال عمر بن الخطاب : « أفضل عيش أدركناه بالصبر » .

وقال عليّ بن أبي طالب : الصبر مطية لا تكبو ، وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الجنة لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده ، وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عَوّضه خيراً مما انتزعه » [4] .

واعلم يا أخي وأنت في شهر الصبر « أنّ من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته تلك الصفة عليه ، وأوصلته إليه ، والرب تعالى هو الصبور ، بل لا أحد أصبر على أذى سمعه منه ، وهو صبر من أعظم مصبور عليه ، فإن مقابلة أعظم العظماء وملك الملوك وأكرم الأكرمين بغاية القبح وأعظم الفجور ، ونسبته إلى كل ما لا يليق به ، والقدح في كماله وأسمائه والإلحاد في آياته ، وتكذيب رسله عليهم السلام ، ومقابلتهم بالشتم والأذى ، وتحريق أوليائه وقتلهم وإهانتهم لا يصبر عليه إلا الصبور

---

(١) العروة التي تشد إليها الدابة .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » ، ومسلم ، والترمذي عن أبي مالك الأشعري .

(٣) صحيح : رواه الحاكم في « المستدرك » وصححه عن أبي هريرة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٢٦) .

(٤) « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » لابن قيم الجوزية (ص ٩٠ - ٩١) .

الذي لا أحد أصبر منه ، ولا نسبة لصبر جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم إلى صبره سبحانه . واللّه يحب أسماءه وصفاته ، ويحب مقتضى صفاته ، وظهور آثارها في العبد ، فهو صبور يحب الصابرين .

وإذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته ، فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف ، ورمضان شهر الصوم ، والصوم تجتمع فيه معاني الصبر الثلاثة : الصبر على ألم الجوع والعطش ، والصبر على المعاصي ، والصبر على الطاعات .

أما الصبر عن المعاصي : فما أحوجنا في رمضان إلى كظم الغيظ عمن أساء إلينا قال ﷺ : « **من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه اللّه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ويزوجه منها ما شاء** » [١] .

وفي الصحيح : « ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ اللّه قلبه رضى يوم القيامة » .

ورحم اللّه من قال :

والصبر بالأرواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالأجسام [٢]

فاصبر صبر الكرام ، فالكريم يصبر عن معصية الرحمن ، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان ، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم ، وأقل الناس صبراً عن معصية ربهم ، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم صبر ، ولا يصبر على البذل في طاعة اللّه في أيسر شيء .

ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه ، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه .

ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية ، ولا يصبر على ما يقال في عرضه إذا أوذي في اللّه .

---

(١) حسن : رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن أنس ، ورواه أحمد في « مسنده » ، والطبراني في « الصغير » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٥٢٢) .

(٢) « الذريعة إلى مكارم الشريعة » للراغب الأصفهاني .

ويبذل عرضه في هوى نفسه ومراده ، ولا يصبر على التبذل للّه في مرضاته وطاعته .

فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان ومراد النفس ، واعجز شيء عن الصبر على ذلك في اللّه ، وهذا أعظم اللؤم ، ولا يكون صاحبه كريماً عند اللّه ، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم أين المتقون .

فليصبر الإنسان عن معصية اللّه في هذا الشهر ، ولا يبيع حظه مع اللّه بشهوة تذهب لذاتها وتبقى تبعتها ، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة . ويعينه على صبره عن شهواته مشهد قهره لشيطانه والظفر به ، ومشهد العوض وهو ما وعد اللّه سبحانه من تعويض من ترك الحرام ، ومشهد البلاء والعافية ، فإن البلاء ليس إلا الذنوب ، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها .

يصبر العبد عن المعصية في رمضان حذراً من الوقوع في الحرام ، وإبقاء لنور وبهجة الإيمان .

يصبر عن معصيته إيماناً بالوعيد وحباً للّه وحياءً من مولاه .

يصبر على فتنة النفس ، والشهوة وجاذبيته للأرض ، وثقلة اللحم والدم ، والرغبة في المتاع والسلطان ، أو في الدعة والاطمئنان ، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه ، مع المعوقات والمثبطات في أعمال النفس وفي ملابسات الحياة ، وفي منطق البيئة وفي تصورات أهل الزمان .

لابد من الصبر :

الصبر على فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه وهو لا يملك عنهم دفعاً . والصبر على فتنة إقبال الدنيا على المبطلين تصاغ لهم الأمجاد الكاذبة ، والصبر على الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة وهو وحده موحش غريب طريد .

* ويصبر في رمضان على طاعة اللّه والدعوة إليه وهو أعلى أنواع الصبر والصبر على الطاعة والدعوة أمانة اللّه في الأرض لا يحملها إلا من هم لها أهل ، وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص ، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء ، فهي أمانة كريمة ، ومن ثَمَّ تحتاج إلى طراز خاص يصبر ويصبر .

والنفس بالصبر تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث ، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع ويشتد غورها ويصلب ، فإذا طال الأمد ، وأبطأ نصر اللّه ، لا يثبت إلا من يؤتمن على تلك الأمانة الكبرى ، أمانة السماء في الأرض ، وأمانة اللّه في ضمير المؤمن . إن الصابرين ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن ، وبما صبروا لها من الصبر على المحن .

والذي يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات .

قال رسول اللّه ﷺ : **« أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »** [١] .

وقال رسول اللّه ﷺ : **« أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، لقد كان أحدهم يُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها [٢] ، فيلبسها ، ويُبتلى بالقمل حتى يقتله ، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء »** [٣] .

* لا بد من صبر على طاعة اللّه والاستقامة على دربه وبذل النفس في مرضاة اللّه . وهنا لابد من نصح للحركة الإسلامية بعدم العجلة ، والحماس الفائر ، ولنا في قصة بني إسرائيل العبر : **﴿ ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي**

(١) صحيح : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » عن فاطمة بنت اليمان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٩٦) .
(٢) يقطعها .
(٣) صحيح : رواه ابن ماجه ، وأبو يعلي في « مسنده » ، والحاكم في « المستدرك » وصححه عن أبي سعيد ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٩٥) .

لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلمّا كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴾ [البقرة : ٢٤٦] إلى نهاية الآيات .

﴿ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .. ﴾ الآية [البقرة : ٢٤٩] .

« فالتفلت من الطاعة والنكوص عن التكليف سمة كل حركة لا تنضج تربيتها الإيمانية ، فهي سمة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير .

ومِنْ ثَمَّ ينبغي للقادة أن يكونوا منها على حذر ، وأن تحسب حسابها في الطريق الوعر كي لا تفاجأ بها ، فيتعاظمها الأمر ، فهي متوقعة من الجماعات البشرية التي لم تخلص من الأوشاب ، ولم تصهر ولم تطهر من هذه العقابيل » [(١)] .

لابد للقادة أن يربو الجيل على الصمود للرغبات والشهوات ، والصمود على الحرمان والمتاعب ، والصبر على قيام الليل في رمضان باب هذا ، وصيام النهار والذكر أعلى درجات الطاعة .

إنه لابد من الصبر :

الصبر على طول الطريق الشائك ، الصبر على قلة الناصر ، الصبر على عناد القلب ومضاضة الإعراض عن طريق الله ، والتواء النفوس الصبر على انتفاش الباطل ، أن ترى الشر نافشاً والخير ضاوياً ، ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق .

يا إخـــوتاه :

الصبر نبل غاية ، وطهارة قصد ، ونظافة طريق .

لابد من صبر على الطاعة والتربية ينفض عنا الكسل والخمول ، ويستجيش ما في شباب الأمة من مكنونات مذخورة للدور النبيل الذي يمليه رمضان شهر الصبر وشهر الفتوحات .

---

(١) « الظلال » لسيد قطب .

﴿ وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾[الأعراف : ١٢٨ - ١٢٩] .

إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد ، وهو الملاذ الحصين الأمين والأولى ، واحد وهو الولي القوي المتين ، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الوليّ بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه ، وألا يعجلوا ، فهم لا يطلعون الغيب ، ولا يعلمون الخير .

على الناس ألا يتبرموا من طول الطريق فالعاقبة للصابرين طال الزمن أم قصر ، فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير ، ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد ، فيحسبونهم باقين .

لابد للدعاة أن يصبروا على الالتواءات والانحرافات ، وثقلة الطبائع وتفاهة الاهتمامات بالصبر على الطاعة .

وانظر إلى مناجاة موسى لربه وإعداده لنفسه بالصوم كي تصفو الروح وتشف وتستضيء وتتقوى العزيمة على مواجهة حمل الأمانة والدعوة .

قال تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٤٢] .

قال ابن كثير « فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة ، قال المفسرون فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلمّا تم الميقات استاك بلحاء شجرة ، فأمره اللّه أن تكمل العشرة أربعين » .

صيام ومناجاة ... ختمها بعشر ذي الحجة ..

وهكذا .. فالتمرن بالصبر على الطاعة يؤهل النفوس للأدوار العظيمة .

يا إخوتاه ويا حملة الدعوة ... هذه أيامكم .. أيام الصبر في رمضان ومنها العظة ولابد من الصبر .

لقد كان أول توجيه للأمة الوسط الشهيدة على الناس ذات الشخصية الخاصة والكيان الخاص هو الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم .

قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾[البقرة : ٤٥] .

قال ابن جرير في « تفسيره » (١ / ٢٥٩) : « وقد قيل : إن معنى الصبر في هذا الموضع : الصوم ، والصوم بعض معاني الصبر عندنا » .

يتكرر ذكر الصبر – منه الصوم – في القرآن كثيراً ، ذلك أن اللّه سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع ، والذي يقتضيه القيام على دعوة اللّه في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات ، والذي يتطلب أن تبقي النفس مشدودة الأعصاب ، مجندة القوى ، يقظة للمداخل والمخارج .. ولابد من الصبر في هذا كله .

لابد من الصبر على الطاعات ، والصبر على عناد المشاقين للّه ، وفضح أساليبهم وأهدافهم ، الصبر على الكيد بشتى صنوفه ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بُعد الشُقَّة .

عن خباب بن الأرت رضي اللّه عنه قال : « شكونا إلى رسول اللّه ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، واللّه ليتمن اللّه تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت فلا يخاف إلا اللّه والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون** »(١) .

لابد من تربية للنفوس بالبلاء وبالجوع ، لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدّوا في سبيلها من تكاليف ، فالتكاليف هنا هي الثمن النفيس الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين .

---

(١) رواه البخاري ، وأبو داود ، والنسائي .

لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها ، وصبرهم على بلائها ، عندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها ، مقدرين لها ، مندفعين إليها .

ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى ، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة ، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد ، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش من العيون ، والران عن القلوب .

وأهم من هذا كله ، أو القاعدة لهذا كله .. الالتجاء إلى اللّه وحده حين تهتز الأسناد كلها ، وتتوارى الأوهام وهي شتى ، ويخلو القلب إلى اللّه وحده لا يجد سنداً إلا سنده ، وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات وتتفتح البصيرة ، وينجلي الأفق على مدّ البصر ... لا حول إلا حول اللّه ، ولا ملجأ إلّا إليه .

قال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للّه وإنا إليه راجعون ٭ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

إنا للّه .. كلنا .. كل ما فينا .. كل كياننا وذاتيتنا .. للّه . وإليه المرجع والمآب في كل أمر ، وفي كل مصير .. التسليم .. التسليم المطلق ..

هؤلاء هم الصابرون .. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل .. وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ .

« صلوات من ربهم يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه وهو مقام كريم .. ورحمة .. وشهادة من اللّه بأنهم هم المهتدون .. وكل أمر من هذه هائل عظيم » .

إن اللّه يضع الصبر في كفة .. ويضع في الكفة الأخرى أمراً واحداً .. صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .. إنه لا يعدهم هنا نصراً .. ولا يعدهم هنا تمكيناً ، ولا يعدهم هنا مغانم ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات اللّه ورحمته وشهادته

لقد كان اللّه يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها ، وأكبر من حياتها ، فكان من ثَمَّ يجردها من كل غاية ، ومن كل هدف ، ومن كل رغبة من الرغبات البشرية ، حتى الرغبة في انتصار العقيدة - كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته .. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى اللّه وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون .. هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية .. وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها .. فأما ما يكتبه اللّه لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فهو لدعوة اللّه التي يحملونها .

إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء .. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور .

« هذه هي التربية التي أخذ اللّه بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين » [1] .

* * *

(١) نقل بتصرف من « الظلال » .

رمضان شهر الشكر

رمضان شهر الشكر والحياء .. ولو سجدنا للّه على إبر الشوك إلى يوم لقياه ما قدرنا حق عطاياه .. فكيف بنعم اللّه وفضله في رمضان شكر على الإسلام وكفى بها نعمة ! أم شكر على نعمة البقاء وإدراك رمضان ونحن أحياء ؟ أم شكر على غفران الذنوب ؟ أم شكر على فتح أبواب الجنان ؟ أم شكر على غلق أبواب النيران ؟ أم شكر على تصفيد الشياطين ؟ أم شكر على إجابة الدعاء ؟ أم شكر على العتق من النيران ؟ أم شكر على رفرفة الأرواح نحو الملأ ؟ أم شكر على التحرير من ثقلة الأرض وحمأة الطين ؟ أم شكر على التهجد والتراويح ؟ أم شكر على الصدقات والتسبيح ؟ أم شكر على مواساة الفقير ؟ قال تعالى : ﴿ **ولتكبروا اللّه على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ .

وللّه در محمود الورّاق إذ يقول :

إذا كان شكري نعمة اللّه نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكرُ

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمرُ

إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وإنْ مسّ بالضرّاء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منّة ... تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر

الشكر للّه درجات ، تبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته ، وتنتهي بالتجرد لشكره ، والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن ، وفي كل لفظة لسان وفي كل قطرة جنان .. مع كل خفقة ووجيب قلب .

ومن كلام شيخ الإسلام ابن القيم مفرقاً : « جعل اللّه الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعال : ﴿ **وقالوا الحمد للّه الذي صدقنا وعده** ﴾ ، وقال : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين** ﴾ .

ومنزلة الشكر من أعلى المنازل ، وهي فوق « الرضى » وزيادة ، فالرضى مندرج

في الشكر بل يندرج فيه جميع مقامات الإيمان حتى المحبة والرضى والتوكل ، وتالله ليس لخواص أولياء الله وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر ولا أعلى وهو نصف الإيمان .

* وقد قرن الله تعالى ذكره بذكره مع أنه قال : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، وكلاهما هو المراد بالخلق والأمر قال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

* وقرن سبحانه الشكر بالإيمان فقال تعالى : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾ الآية .

* وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنّته عليهم من بين عباده فقال تعالى : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

* وقسّم العباد إلى شكور وكفور قال تعالى : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ [الإنسان : ٣] .

* وقد أمر الله به ، ونهى عن ضده وذمه ، فقال تعالى : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ [العاديات : ٦] .

يعد المصائب وينسى النعم .

يا أيها الظالم في فعلهِ والظلم مردود على من ظَلَمْ

إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النِّعَمْ

* وهو غاية الرب من عبده ، وهو الغاية من خلقه وأمره ، قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [النحل : ٧٨] .

* وقد أخبر سبحانه إنما يعبده من يشكره ، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال : ﴿ **واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون** ﴾ .

* وأول وصية وصّى بها الإنسان بعد ما عقل عنه الشكر له وللوالدين : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصالُه في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾ [لقمان : ١٤] .

* وأخبر أن رضاه في شكره فقال تعالى : ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ .

* وأثنى على أهله ووصف به خواصّ عباده ، وأثنى عليه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بشكر نعمه فقال : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً للّه حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ [النحل : ١٢١] ، فختم صفات خليله بأنه شاكر ، فجعل الشكر غاية خليله .

* وأمر عبده موسى أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليم بالشكر فقال تعالى : ﴿ **يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين** ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

* وقد أثنى اللّه سبحانه وتعالى على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال تعالى : ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً** ﴾ [الإسراء : ٣] ، وفي تخصيص نوح ها هنا بالذكر ، وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به فإنه أبوهم الثاني ، فإن اللّه لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلاً إلا من ذريته كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ [الصافات : ٧٧] .

* وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ .

* وقابل اللّه سبحانه بين الشكر والكفر فقال عن نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام ﴿ **هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن اللّه غني كريم** ﴾ [النمل : ٤٠] .

* ووعد أهله بأحسن جزائه ، وجعله سبباً للمزيد من فضله ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

* وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة كقوله : ﴿ **فيكشف ما تدعون**

إليه إن شاء ﴾ ، وقوله في الرزق : ﴿ **يرزق من يشاء** ﴾ ، وفي المغفرة ﴿ **يغفر لمن يشاء** ﴾ ، والتوبة ﴿ **ويتوب الله على من يشاء** ﴾ ، وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً حيث قال : ﴿ **وسنجزي الشاكرين** ﴾ ،﴿ **وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ .

* ولمّا عرف إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها ، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال : ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ .

* واشتق الله للشاكرين اسماً من أسمائه ، فإنه سبحانه هو الشكور ، فأعطاهم من وصفه ، وسمّاهم باسمه ، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً ، وهو يوصّل الشاكر إلى مشكوره ، بل يعيد الشاكر مشكوراً ، قال تعالى : ﴿ **إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً** ﴾ [الإنسان : ٢٢] .

* وفي الصحيحين عن النبي ﷺ : « أنه قام حتى تورّمت قدماه ، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : **أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

وقال لمعاذ : « **والله يا معاذ ، إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة : اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » [(١)] .

* وقال ﷺ : « **ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الدنيا** » [(٢)] .

* **والشكر مبني على خمسة قواعد :**

(١) خضوع الشاكر للمشكور وإضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة له .

(٢) حبه له ، قال سلمان : ذكر النعم يورث الحب .

---

(١) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي وابن حبان والحاكم في « المستدرك » وصححه ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٩٦٩) .

(٢) صحيح : رواه أبو نعيم في « الحلية » والحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٣٥٥) ، و« السلسلة الصحيحة » رقم (٢١٧٦) .

(٣) اعترافه بنعمته ومعرفته بها وقبولها .

(٤) ثناؤه عليه بها .

(٥) أن لا يستعملها فيما يكره .

ومن عدم واحدة منها : اختل من قواعد الشكر قاعدة .

أما معرفتها : فهو إحضارها في الذهن ومشاهدتها وتمييزها .

وقبولها : هو تلقيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليها ، وأن وصولها إليه بغير استحقاق منه ، قال الجنيد : « الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة » .

وهذا معنى قول حمدون – وما ألطفه – : « شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا » .

* والثناء بها على المنعم : وصفه بالجود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء .

* والتحدث بنعمته : ذكر النعمة والإخبار بها ، والدعوة إلى الله وتبليغ رسالته وتعليم الأمة قال تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾[الضحى : ١١] .

قال ﷺ : « **التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير** »[١] .

ومن الرزية أن شكري صامتٌ عما فعلت وأن برّك ناطقُ

وأرى الصنيعة منك ثم أسرّها إني إذاً لدى الكريم لسارقُ

نعم يا أخي : الشكر : عكوف القلوب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته ، وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه .

والشكر : قيد النعم الموجودة ، وصيد النعم المفقودة .

قال عمر بن عبد العزيز : قيّدوا نعم الله بشكر الله .

---

(١) حسن : رواه البيهقي في « شعب الإيمان » عن النعمان بن بشير ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٠١٤) ، و« السلسلة الصحيحة » رقم (٦٦٧) .

* وشكر العامة على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان ، وشكر الخاصة على قوت القلوب والتوحيد والإيمان .

نعم : الشكر : التلذذ بثنائه على ما لم تستوجب من عطائه ، وقيل : من قصرت يداه عن المكافآت فليطل لسانه بالشكر .

والشكر معه المزيد فمتى لم ترَ حالك في مزيد فاستقبل الشكر .

* والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح :

فالقلب للمعرفة والمحبة ، واللسان للثناء والحمد ، والجوارح لا ستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه .

قال الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجّبا

* والشكر أخص بالأفعال ، والحمد أخص بالأقوال ، فإنه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله أو يشكر على نعمه .

وسبب الحمد أعمّ من سبب الشكر .

ومتعلق الشكر وما به الشكر أعمّ مما به الحمد ، فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح ، ويحمد بالقلب واللسان .

وأي نعم اللّه تحصي في الدنيا أو في الآخرة .

عن عبد اللّه بن محصن قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » [١] . فما ظنك بنعمة ترك المعصية في هذا الشهر .

أصبحت بين نعمتين لا تدري أيتهما أفضل : ذنوب سترها اللّه فلا يستطيع أن يعيرك بها أحد ، ومودة قذفها في قلوب العباد لا يبلغها العمل .

---

(١) حسن : رواه البخاري في « الأدب المفرد » ، والترمذي وابن ماجه ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٤٢) .

أخي : كم عدو حطّ منك بالذم فرقاك ، كم أعطش من شراب الأمانيّ خلقاً وسقاك ، كم أمات بعض من لم يبلغ رمضان وأبقاك .

لقد أعطاك أيتها النفس ما لم تأملي ، وبلّغك ما لم تطلبي ، وستر عليك من القبيح ما لوْ فاح لضجّت المشام .

كيف لا تحب من أنت به ، وبقاؤك منه ، ورجوعك إليه .

قال سليمان التيمي : إن الله سبحانه أنعم على عبده على قدره ، وكلّفهم بالشكر على قدرهم .

قالت امرأة لابن أبي الحواري : أنا في بيتي قد شُغل قلبي ، قلت : وما هو ؟ قالت : أريد أن أعرف نعم الله عليّ في طرفة عين ، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليّ في طرفة عين . قلت : تريدين ما لا تهتدي إليه عقولنا . وتنسّك رجل فقال : لا آكل الخبيص لا أقوم بشكره ، فقال الحسن : هذا أحمق ؟! وهل يقوم بشكر الماء البارد !!

* ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها : أن يغلق عليه بابه فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب فيسأله شيئاً من القوت ليعرف نعمته عليه .

* وقال الثوري : ما أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تضرعه إليه فيها .

وقال أبو حازم : نعم الله فيما زوي عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها .

قال بكر بن عبد الله : ما قال عبد قط الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة بقوله الحمد لله ، فجزاء تلك النعمة أن يقول الحمد لله ، فجاءت نعمة أخرى فلا تنفد » .

فسبحان « المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالي بفضله على جميع خلقه بشرائف المنائح على طول الزمان ، أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها ، وفرّق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحا الأرض على الماء وأوسعها ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان** ﴾ .

* سالت الجوامد لهيبته ولانت ، وذلت الصعاب لسطوته وهانت ، وإذا بطش

﴿ انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ .

يعز ويذل ، ويفقر ويغني ، ويسعد ويُشقي ، ويُبْقي ويُفني ، ويشين ويزين ، وينقض ويبني **﴿ كل يوم هو في شأن ﴾** .

قدّر التقدير فلا رادّ لحكمه ، وعلم سر العبد وباطن عزمه **﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾** .

مدّ الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنعته ، وصبغ ألوان نباتها بحكمته فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ، ثبتها بالجبال الرواسي في نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه تحييها ، وقضى بالفناء على ساكنيها **﴿ كل من عليها فان ﴾** .

من خدمه طامعاً في فضله نال ، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال ، ومن عامله أربحه وقد قال : **﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾** [١] .

* فاتق اللّه أفلا تنافس الجن في حسن المقال .

قال ﷺ للصحابة : « **لما قرأتها** (يعني سورة الرحمن) **على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد** » [٢] .

« فاللّهم إنا نعوذ بك أن نبدل نعمتك كفراً ، وأن نكفرها بعد أن عرفناها ، وأن ننساها ولا نثني بها » كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه .

« إلهي من كرمك أنك تطاع ولا تعصى ، ومن حلمك أنك تعصى وكأنك لا ترى ، وأي زمن لم يعصك فيه سكان أرضك وأنت بالخير عوّاد » .

وللّه در الحسن : كان إن ابتدأ حديثه قال :

« الحمد للّه ربنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبّت عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمتنا ، وجمعت فرقتنا ،

---

(١) « التبصرة » (٢ / ٧٠) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه عن أنس ، ورواه ابن السني والخرائطي والضياء وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٦٣) .

وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً ، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، سراً أو علانية ، أو خاصة أو عامة ، أو حي أو ميت ، أو شاهد أو غائب ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت » .

قال رسول الله ﷺ : « **ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله ، إلّا كان الذي أعطى ، أفضل مما أخذ** »[1] .

وقال ﷺ : « **ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها ، إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة** »[2] .

* * *

(١) صحيح : رواه ابن ماجه عن أنس ، ورواه ابن السني والخرائطي والضياء وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٦٣) .

(٢) حسن : رواه ابن السني ، والخرائطي ، والضياء عن أنس ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٦٢) .

رمضان شهر الدعاء المستجاب

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ففي أي شهر يكون الدعاء؟ وهو وقت الشفاة الذابلة والطاعة الكاملة ، والبطون الضامرة ، وقت نزول الملائكة ، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء قال تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾[البقرة : ١٨٦] .

وعجيب وجميل أن يذكر الدعاء وسط الكلام عن الصيام وأحكامه .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول ﷺ بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يعدهم للهدي والرشاد .

قال البيضاوي في « وجه الاتصال » : « واعلم أنه تعالى أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم ، سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم ، مجاز على أعمالهم ، تأكيداً له وحثاً عليه » (١) .

* وقال الرازي في « التفسير الكبير » : « في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها الأول : أنه تعالى لمّا قال بعد إيجاب فرض الصوم وبين أحكامه ﴿ **ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر ، بيّن أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع نداءه ، ويجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه (٢) .

الثاني : أنه أمر بالتكبير أولاً ، ثم رغّبه في الدعاء ثانياً ، تنبيهاً على أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقاً بالثناء الجميل .

---

(١) « تفسير المنار » (١ / ١٦٧) .

(٢) « مفاتيح الغيب » (٣ / ٨٨) .

الثالث : أن اللّه تعالى لمّا فرض عليهم الصيام كما فرض على الذين من قبلهم ، وكان ذلك على أنهم إذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم ، فشقّ ذلك على بعضهم حتى عصوا اللّه في ذلك التكليف ، ثم ندموا وسألوا النبي ﷺ عن توبتهم ، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية مخبراً لهم بقبول توبتهم ، ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم .

قبل أن يمضي سياق الآيات التي تتحدث عن الصوم في سورة البقرة في « بيان أحكام تفصيلية عن مواعيد الصيام ، وحدود المتاع فيه وحدود الإمساك .. نجد لفتة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة . نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم ، والجزاء المعجل على الاستجابة للّه .. نجد ذلك العوض وهذا الجزاء في القرب من اللّه ، وفي استجابته للدعاء .. تصوره ألفاظ رفافة شفافة تكاد تنير : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فإني قريب .. أجيب دعوة الداع إذا دعان .. أية رقة ؟ وأي انعطاف ؟ وأية شفافية ؟ وأي إيناس ؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القريب ، وظل هذا الإيناس ؟

وفي كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة : إضافة العباد إليه ، والرد المباشر عليهم منه .. لم يقل لهم ، فقل لهم : إني قريب .. إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال .. قريب .. ولم يقل أسمع الدعاء .. إنما عجل بإجابة الدعاء .. ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ .

إنها آية عجيبة .. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة ، والود المؤنس ، والرضى المطمئن ، والثقة واليقين .. ويعيش منها المؤمن في جناب رضى وقربى نديّة ، وملاذ أمين وقرار مكين .

وفي ظل هذا الأنس الحبيب ، وهذا القرب الودود ، وهذه الاستجابة الوحية يوجه اللّه عباده إلى الاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح .

فالثمرة الأخيرة منه الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك .. وهي الرشد والهدي والصلاح فاللّه غني عن العالمين .

والرشد الذي ينشئه الإيمان وتنشئه الاستجابة للّه هو الرشد ، واستجابة اللّه للعباد مرجوة حين يستجيبون له وهم يرشدون . وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه .. فهو يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم »[١] فسبحان من أطمع المطيع والعاصي ، والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله : ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ .

يقول الرازي في « مفاتيح الغيب » : « تدل على تعظيم حال الدعاء من وجوه :

الأول : كأنه سبحانه وتعالى يقول : عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء ، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك .

الثاني : أن قوله : ﴿ **وإذا سألك عبادي** ﴾ يدل على أن العبد له ، وقوله تعالى : ﴿ **فإني قريب** ﴾ يدل على أن الرب للعبد .

والثالث : لم يقل فالعبد مني قريب ، بل قاله : أنا منه قريب »[٢] .

وانظر إلى كرم الجواد الذي إذا لم يُسأل يغضب فقال تعالى : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ [الأنعام : ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ **قل ما يعبأ بكم ربكم لولا دعاؤكم** ﴾ .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **إنه من لم يسأل اللّه يغضب عليه** »[٣] .

وقال الشاعر :

فاللّه يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يسأل يغضب

---

(١) « الظلال » (١ / ١٧٢ - ١٧٣) .
(٢) « مفاتيح الغيب » (٣ / ٩٥) .
(٣) صحيح : رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٤١٨) .

* وقال رسول الله ﷺ : « **أفضل العبادة الدعاء** » [١] .

فالدعاء تذلل وخضوع ، وإخبات وانطراح على سدة الكريم .

وقال ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** » [٢] .

وقال ﷺ : « **إن أبخل الناس من بخل بالسلام ، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء** » [٣] .

* وقال ﷺ : « **ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء** » [٤] .

قال المناوي (٦ / ٣٦٥ - ٣٦٦) : « قال الطيب : لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي ، ولا منافاة بين هذا الحديث وآية ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ لأن كل شيء يشرق في بابه فإنه يوصف بالكرم » .

* وقال ﷺ : « **الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء** » [٥] .

* وقال ﷺ : « **إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين** » [٦] .

* وقال ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر** » [٧] .

* وقال ﷺ : « **ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه**

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس ، وابن عدي عن أبي هريرة ، وابن سعد عن النعمان بن بشير وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وصححه السيوطي ، والألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٢٢) .

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في « الأدب » وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير ، وأبو يعلي عن البراء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٠٧) .

(٣) صحيح : رواه أبو يعلي في « مسنده » عن أبي هريرة ، ورواه ابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٥١٩) .

(٤) حسن : رواه أحمد والبخاري في « الأدب » والترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٣٩٢) .

(٥) حسن : رواه الحاكم عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٠٩) .

(٦) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن سلمان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٥٧) .

(٧) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن سلمان ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٦٨٧) .

من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم ، أو قطيعة رحم ، ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت ودعوت ، فلم يستجب لي » (١) .

* وقال ﷺ : **« يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعان »** (٢) .

* وقال ﷺ : **« من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء »** (٣) .

*** وعليه بآداب الدعاء وهي عشرة :**

(الأول) أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل .

(الثاني) أن يغتنم الأحوال الشريفة .

وهذه الأوقات والأحوال التي فيها يستجاب الدعاء :

١ - وقت التنزل الإلهي :

قال ﷺ : **« إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة »** (٤) .

وقال ﷺ : **« أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن »** (٥) .

٢ - في السجود :

قال ﷺ : **« وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقَمِن (٦) أن يستجاب لكم »** (٧) .

---

(١) حسن : رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٣٧) .
(٢) رواه أحمد عن أنس ، ومسلم والترمذي عن أبي هريرة .
(٣) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٢٩٠) .
(٤) رواه مسلم وأحمد عن جابر .
(٥) صحيح : رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عبسة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٧٣) .
(٦) أي جدير .
(٧) جزء من حديث ابن عباس أخرجه مسلم .

٣ – أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعو :

قال ﷺ : « ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » [١] .

٤ – عند الأذان :

قال ﷺ : « إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء » [٢] .

وقال ﷺ : « إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء » [٣] .

٥ – بين الأذان والإقامة :

قال رسول الله ﷺ : « الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا » [٤] .

٦ ، ٧ ، ٨ – عند نزول المطر ، وعند التقاء الجيوش ، وعند إقامة الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : « ثنتان ما تردان : الدعاء عند النداء وتحت المطر » [٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث » [٦] .

٩ – آخر ساعة من نهار الجمعة :

قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » [٧] .

١٠ – دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب :

---

(١) صحيح : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن معاذ ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٧٥٤) .

(٢) صحيح : رواه الطيالسي وأبو يعلي والضياء عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٨١٨) .

(٣) صحيح : رواه أبو يعلي والحاكم عن أبي أمامة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٨٠٣) .

(٤) صحيح : رواه أبو يعلي عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٠٥) ، و« المشكاة » رقم (٦٧١) .

(٥) حسن : رواه الحاكم عن سهل بن سعد ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٠٧٨) .

(٦) صحيح : رواه الشافعي والبيهقي في « المعرفة » وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٠٢٦) .

(٧) صحيح : رواه أبو داود والنسائي والحاكم عن جابر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٨١٩٠) .

قال رسول اللّه ﷺ : « **دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد** » [(١)] .

١١ – دعوة المسافر .

١٢ – دعوة المظلوم .

١٣ – دعوة الوالد لولده .

١٤ – دعوة الصائم .

قال رسول اللّه ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر** » ، وقال رسول اللّه ﷺ : « **ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ودعوة المسافر** » .

١٥ – عدم العجلة :

قال رسول اللّه ﷺ : « **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يُستجب لي** » [(٢)] .

١٦ – دعاء رمضان : فهو وقت صيام ، وزمان شريف .

وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة وإجابة الدعاء كما يظهر من الأحاديث ، وهي حاصلة في رمضان .

(الثالث) أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه قبل أن تغل بالأغلال .

(الرابع) خفض الصوت بين المخافتة والجهر ، قال تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قالت عائشة : أي بدعائك .

وقال ﷺ : « **يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب** » متفق عليه .

(الخامس) أن لا يتكلف السجع في الدعاء .

ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

---

(١) صحيح : رواه البزار عن عمران بن حصين ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٧٩) .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة .

(السادس) التضرع والخشوع والرغبة والرهبة :

قال تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً** ﴾ الآية .

(السابع) أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه .

قال ﷺ : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** » (١) .

وقال ﷺ : « **إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللّهم اغفر لي إن شئت ، وليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يعظم عليه شيء أعطاه** » (٢) .

وقال ﷺ : « **لا يقل أحدكم إذا دعا اللّهم اغفر لي إن شئت اللّهم ارحمني إن شئت فليعزم المسألة فإنه لا مكره له** » (٣) .

قال سفيان بن عيينة : لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله ﴿ **قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين** ﴾ [الحجر : ٣٦ - ٣٧] .

(الثامن) أن يلح في الدعاء ويعظم المسألة ويكرر الدعاء ثلاثاً :

قال ابن مسعود : « كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً » (٤) .

وقال ﷺ : « **إذا تمنى أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه** » (٥) .

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٤٥) .

(٢) رواه البخاري في « الأدب » عن أبي سعيد ، ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وعن أنس « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل : اللّهم إن شئت فاعطني فإن الله لا مستكره له » رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٤) رواه مسلم وأصله متفق عليه .

(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » عن عائشة ، ورمز السيوطي لحسنه . قال المناوي (١ / ٣٢٠) : « وهو تقصير أو قصور وحقه الرمز لصحته فقد قال الهيثمي وغيره : رجاله رجال الصحيح » وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٧) .

وقال ﷺ : « **إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه** »(١) .

قال المناوي : « إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأماني فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه ، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ، ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لا يتيسر ، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود سحاء الليل والنهار ولا يفنيها عطاء وإن جل وعظم فعطاؤه بين الكاف والنون ، وليس ذا بمناقض لقوله سبحانه : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ﴾ فإن ذلك نهى عن تمني ما لأخيه بغياً وحسداً ، وهذا تمنى على الله سبحانه خيراً في دينه ودنياه وطلب من خزائنه فهو نظير ﴿ **واسألوا الله من فضله** ﴾ .

(التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه وأن يختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : « **كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي ﷺ** »(٢) .

قال أبو سلمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

(العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة : « التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة » .

قال مالك بن دينار : « إنكم تستبطئون المطر وأنا استبطئ الحجارة » أي نزول الحجارة .

قال عطاء السلمي : منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليّ فقال : يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور ؟ فقلت : لا

---

(١) صحيح : رواه ابن حبان في « صحيحه » عن عائشة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٩١) .

(٢) حسن : رواه الديلمي في « مسند الفردوس » عن أنس ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن علي موقوفاً ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٥٢٣) ، ورواه ابن حبان عن معاذ ، وابن مخلد عن علي مرفوعاً .

ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال : يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية ؟ فقلت : بل بقلوب سماوية . فقال : هيهات يا عطاء ، قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير . ثم رمق السماء بطرفه وقال : إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماءً غدقاً فراتاً تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير ، قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة اللّه حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

قال ابن المبارك : « قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه ، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساويء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فأسألك يا حليما ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل ، فقال لي : ما لي أراك كئيبا ؟ فقال : أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فخرّ الفضيل مغشياً عليه » (١) فهذا شهر الدعاء فرطب لسانك بدعاء النبي ﷺ .

« اللّهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني ، وانقطاع أمري » (٢) .

« اللّهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، ومن

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١ / ٣٦١ - ٣٦٦) .

(٢) حسن : رواه الحاكم عن عائشة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٥٥) .

أمامي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، واجعل لي في نفسي نوراً ، وأعظم لي نوراً » [(١)] .

« اللّهم احفظني بالإسلام قائماً ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تشمت بي عدواً حاسداً ، اللّهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك » [(٢)] ، « اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً وأحشرني في زمرة المساكين » [(٣)] ، « اللّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » [(٤)] .

« اللّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللّهم اغفر لي خطيء وعمدي ، وهزلي وجدي وكل ذلك عندي ، اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير » [(٥)] .

« اللّهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ، اللّهم أنعشني واجبرني ، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق ، فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت » [(٦)] .

« اللّهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوراث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » [(٧)] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس .

(٢) حسن : رواه الحاكم عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٦٠) .

(٣) صحيح : رواه عبد بن حميد وابن ماجه عن أبي سعيد ، والطبراني في « الكبير » ، والضياء عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٦٠) .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى .

(٦) حسن : رواه ابن السني ، والطبراني في « الأوسط » و« الصغير » والحاكم عن أبي أيوب وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٦٦) .

(٧) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٦٨) .

« اللّهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم . اللّهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك ، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك ، اللّهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً » (١) .

« اللّهم إني أسألك من فضلك ورحمتك ، فإنه لا يملكها إلا أنت » (٢) .

« اللّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم ، والقسوة والغفلة والغيلة ، والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والفسوق والشقاق والنفاق ، والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام » (٣) .

« اللّهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » (٤) .

« اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وعمل لا يرفع ، ودعاء لا يسمع » (٥) .

« اللّهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع » (٦) .

« اللّهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » (٧) .

---

(١) رواه ابن ماجه عن عائشة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٧٦) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٧٨) .

(٣) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في « الدعاء » عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٨٥) .

(٤) جزء من حديث صحيح : رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي عن زيد بن أرقم .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، وابن حبان والحاكم عن أنس وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٩٥) .

(٦) صحيح : رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمرو ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والنسائي عن أنس وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٩٧) .

(٧) صحيح : رواه الترمذي والطبراني في « الكبير » والحاكم عن عم زياد بن علاقة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٩٨) .

« اللّهم إني أعوذ بك من يوم السوء ، ومن ليلة السوء ، ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء في دار المقامة » (١) .

« اللّهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ نعوذ بك من النار » (٢) .

« اللّهم رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر » (٣) .

« اللّهم حبب إلينا لقاءك ، وسهل علينا قضاءك ، وأقلل لنا من الدنيا » .

« اللّهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي . اللّهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، في غير ضرّاء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللّهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » (٤) .

« اللّهم يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه » (٥) .

* * *

(١) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن عقبة بن عامر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٩٩) .

(٢) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » والحاكم عن والد أبي المليح ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٠٤) .

(٣) حسن : رواه النسائي عن عائشة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٠٥) .

(٤) صحيح : رواه النسائي والحاكم عن عمار بن ياسر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٠١) .

(٥) صحيح .

رمضان شهر مضاعفة الأجر

اعلم يا أخي أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب :

* منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم : ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « **صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام** » .

* ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه : كما يضاعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر .

* ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : « **عمرة في رمضان تعدل حجة** » [(١)] .

وقال ﷺ : « **عمرة في رمضان كحجة معي** » [(٢)] ، وعند مسلم « **عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي** » .

قال المناوي (٤ / ٣٦١) : « أي تقابلها وتماثلها في الثواب لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت ، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع » .

قال ابن العربي : هذا صحيح مليح وفضل من الله ونعمة نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها .

وفيه أنه يسن إكثار العمرة في رمضان وعليه الشافعية .

قال ابن رجب : « ذكر أبو بكر بن أبي مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون : إذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة ، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله ، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره » .

قال النخعي : « صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم ، وتسبيحة فيه أفضل من

---

(١) رواه أحمد والبخاري وابن ماجه عن جابر ، وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس ، وابو داود والترمذي وابن ماجه عن أم معقل ، وابن ماجه عن وهب بن خنيس والطبراني في الكبير عن ابن الزبير .

(٢) صحيح : رواه سموية عن أنس وصححه ابن العربي والسيوطي والألباني في صحيح الجامع .

ألف تسبيحة ، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة ، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفاً أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفاً على سائر الصيام لشرف زمانه ، وكونه هو الصوم الذي فرضه اللّه على عباده ، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها » [١] .

فهلمّ إلى فعل الخير أما ترى دعاء الملك في رمضان إلى الخيرات والتقصير من السيئات « **يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر** » .

* * *

(١) « لطائف المعارف » (ص ١٦٩) .

رمضان شهر تصفيد الشياطين

روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إذا دخل شهر رمضان فُتّحت أبواب السماء ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين** » .

* وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **إذا جاء رمضان ، فتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين** »(١) .

وعند مسلم : « **فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين** » .

* وعند الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ قال : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب** » .

ولفظ ابن خزيمة « **صفدت الشياطين مردة الجن** » بغير واو .

* وعن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ :« **أتاكم شهر رمضان ، فرض اللّه عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين** »(٢) .

قال ابن خزيمة في صحيحه (٣ / ١٨٧ - ١٨٨) : « لفظ عام مراده خاص في تصفيد الشياطين إنما أراد بقوله « صفدت الشياطين » مردة الجن منهم ، لا جميع الشياطين ، إذ اسم الشياطين قد يقع على بعضهم » .

وقال ابن حبان في « الإحسان » (٨ / ٢٢١) : « إنما يصفد الشياطين في شهر رمضان مردتهم دون غيرهم » .

* والتصفيد على ظاهره ولا حاجة للتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره ، نؤمن بهذا .

* قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤ / ١٣٦ - ١٣٧) :« قال الحليمي : يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ ، ويحتمل

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) صحيح : رواه النسائي والبيهقي في سننه عن أبي هريرة وصححه الألباني .

أن يكون أن المراد لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع للشهوات ، وبقراءة القرآن والذكر .

وقال غيره : المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم ، وترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه .

قال عياض : يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين .

وقال الزين بن المنير : والأول أَوْجَه ، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره .

وقال الطيبي : فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة ، وفيه إذا علم المكلف ذلك بإخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية .

وقال القرطبي بعد أن رجّح على ظاهره : فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ؟ فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين بالصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه ، أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات .

أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره ، إذ يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع فيه شر ولا معصية لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية .

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له : قد كُفّت الشياطين عنك ، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية » .

* قال ابن عقيل : الشياطين عصاة الجن ، وقال أبو يعلي الحنبلي : الشياطين مردة الجن وأشرارهم ، ذكره السفاريني في « اللوامع » (٢٢٠) .

وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١ / ٥٧) : « وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر : إبليس عدو آدم » .

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان :

(١) تزيين الباطل : كما قال اللعين لرب العزة ﴿ **رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ .

يقول ابن القيم : « ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء اللّه ، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء ، فلا إله إلا اللّه كم فتن بهذا السحر من إنسان ، وكم حال بينه وبين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان ، وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة ، وشنّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة ، كم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روّج من الزغل على العارفين » .

- وتسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة كما سمى الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها . وكما يسمون الرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فناً .

(٢) الإفراط والتفريط :

يقول ابن القيم « وما أمر اللّه عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراط وغلو .

(٣) تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل :

سئل الرسول ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه** » .

فمن قام بالليل وتوضأ وصلى انحلت عقد الشيطان كلها عن قافية رأسه فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ، كان أحد الصالحين يقول : « أنذرتكم سوف فإنها أكبر جنود إبليس » .

(٤) الوعد والأمنية : يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة كي يوقعهم في وهدة الضلال ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** ﴾[النساء : ١٢٠] .

(٥) إظهار النصح للإنسان : قال تعالى : ﴿ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾ .

(٦) التدرج في الإضلال .

(٧) إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه .

قال تعالى : ﴿ **وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين** ﴾ [يوسف : ٤٢] .

وإذا تمكن الشيطان من الإنسان تمكناً كلياً فإنه ينسيه اللّه بالكلية ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللّه** ﴾ [المجادلة : ١٩] .

(٨) تخويف المؤمنين أولياءه : أي يخوفهم بأوليائه ويعظمهم في صدورهم .

(٩) دخوله إلى النفس من الباب الذي تهواه : ومن هنا دخل الشيطان على آدم وحواء « فشام عدو اللّه الأبوين فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب » .

(١٠) إلقاء الشبهات .

(١١ – ١٤) الخمر والميسر والأنصاب والأزلام :

﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة : ٩٠] .

(١٥) السحر .

(١٦) ضعف الإنسان ومرض قلبه .

(١٧) النساء .

(١٨) حب الدنيا .

(١٩) الغناء والموسيقى .

(٢٠) تهاون المسلمين فيما أمروا به .

حرز الإنسان من الشيطان في رمضان وغيره :

ذكر ابن القيم في بدائع الفوائد قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز منه .

وذلك عشرة أسباب نذكرها باختصار :

الأول : الاستعاذه بالله من الشيطان قال تعالى : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾.

الحرز الثاني : المعوذتان : قال ﷺ : « **أفضل ما تعوذ به المتعوذون وكان يتعوذ بهما في كل ليلة عند نومه** » رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة . وأمر عقبة أن يقرأ بهما دبر كل صلاة .

الحرز الثالث : قراءة آية الكرسي عند النوم .

قال ابن تيمية : من أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي .

الحرز الرابع : قراءة سورة البقرة .

قال ﷺ : « **لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة** » [١] .

الحرز الخامس : خاتمة سورة البقرة :

قال ﷺ : « **من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** »

الحرز السادس : آية الكرسي صباحاً فيحفظ حتى يمسي ، ومساءً فيحفظ حتى يصبح وقد صححه الألباني والأرناؤوط .

الحرز السابع : قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك** »

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة .

قال ابن القيم : فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسّره الله عليه .

وفي حديث يحيى بن زكريا : « وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين، فاحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » .

الحرز الثامن : الوضوء والصلاة .

الحرز التاسع : « إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس . فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة » .

الحرز العاشر : الأذان : فالشيطان يهرب من الأذان .

وفي الصحيح : « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال [١] له ضراط حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس ، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس » رواه مسلم .

الحرز الحادي عشر : أن يختم بذكر حتى ينام ويفتح به : عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ، ويقول الشيطان اختم بشر ، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه – يعني النوم – طرد الملك الشيطان وبات يكلأه[٢] ، فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد الذي أحيا نفسي بعد موتها ، ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلأه** » [٣] .

ولكن عند أبي يعلي هكذا « أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة » .

---

(١) أي تحول من موضعه .

(٢) أي يحفظه .

(٣) صحيح : رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

الحرز الثاني عشر : ومنها قوله ﷺ : **« أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وبرأ ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتنة الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً بخير يا رحمن »** [(١)] .

الحرز الثالث عشر : « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم من قالها ثلاثاً حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي ، ومن قالها ثلاثاً حين يمسي لم يضره شيء حتى يصبح » [(٢)] .

الحرز الرابع عشر : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً » [(٣)] .

الحرز الخامس عشر : إذا خرج من بيته « بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله » [(٤)] .

شياطين الإنس :

وكذلك من يتمرد من الإنس ويتمخض للشر والغواية **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾** .

شرهم خالص وخسرانهم خالص .

جبلات منكوسة موكوسة مطموسة تواصوا بالإفساد وأخذوا يحولون المجتمع إلى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والخمور ديدنهم محاربة المساجد بالمراقص والزوجات بالمومسات .

---

(١) صحيح : رواه أحمد والطبراني وابن السني عن عبد الرحمن بن حنيش التيمي وصححه الألباني في « الصحيحة » .

(٢) حسن : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ، وحسنه الألباني والأرناؤوط .

(٣) رواه مسلم .

(٤) الجن في معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ إبراهيم زكريا .

يصدق فيهم قول القائل :

وكنت امرءً من جند إبليس فارتقى بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

يقول رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلتُ كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ! نعم أنت** »[(١)] .

فكيف بمن فرّق بين الأمة وكتابها وسُنة نبيها بالشبهات المضللة للطعن في الكتاب والسنة ، من شياطين حرية الفكر والإباحية ، كيف بمن يمكر بالأمة ليلاً ونهاراً بالدعوة للإباحية وشهوات الجسد المسعورة لفتنة رجال الأمة شباباً وكهولاً ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا** ﴾[مريم : ٨٣] .

كيف بمن يبث تلفازهم السموم من أفلامه حتى إفطار الناس خاصة وقبل تراويحهم ، ومسلسلاتهم النكدة التي تطعن في الثوابت من دين الأمة ، بكل خضراء الدمن ممثلة زنديقة شوهاء :

حديثها كذب محض حقيقته مأخوذة من أباطيل الغرانيق

تباع في كل سوق للضلال فلا تسألْ عن التاجر الكذاب والسوق

وعن سماسرة باعوا ضمائرهم وذوّبوا العقل في نار الأباريق

تبدي خصالاً من الإيمان كاذبة وفي مشاعرها إحساس زنديق[(٢)]

وكل كذب إلى نهاية ولا يبقى إلا الحق يا شوهاء يا من تُسَخَّر لإباحتيك الطائرات .. ويا من جسّدت العهر والزندقة في تمثيلك في رمضان :

لا الليلة الحمراء باقية لا الكأس لا العشاق لا الخمر

كم نجمة بالأمس قد سقطت واليوم لا حس ولا خُبْرُ

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن جابر .

(٢) من قصيدة لعبد الرحمن العشماوي .

أنت الضحية أنت بينهم وعليك ثم عليهم الوزرُ
لا تسخري بالتائبات ففي هذا الإيابِ العز والفخر
مست شغاف قلوبهم سور فتفجر الإيمان والعطرُ
ويح الذين قست قلوبهم وأمامهم يتشقق الصخر
ويح الذين تَصُخُّ سمعهم آيات ربي ثم لم يدروا
يا نجمة الأضواء إن غدا آت ويُسدل بعدها السرّ
والمعجبون سيرحلون غدا وسيرحل التطبيل والزمر
وستطفأ الأنوار في عجل فالزيت في قنديلكم نزر
وستزفين العمر من ندم لو كان ينفع عندها الزّفر
وستشربين الكأس مترعة مُرٌّ شراب كئوسكم مر
وسيضرب النسيان بينكم سدا ، فلا يبقى لكم ذكر
الآن مطوي كتابكمُ ولكل مطوي غدا نشرُ[(١)]

يا شباب المسلمين : إن كان من شياطين الإنس من يقول له إبليس : أنت أنت فهل منكم من أحد يقول له رسول اللّه ﷺ : أنت ! أنت ! كما قال رسول اللّه ﷺ لعمر : « **إن الشيطان ليفرق منك يا عمر** » [(٢)] .

وقال ﷺ : « **إني لأنظر شياطين الجن والإنس فرّوا من عمر** » [(٣)] .

فمن منكم يا إخوتاه تفر منه شياطين الإنس .

من منكم يا إخوتاه من يقهر شيطانه وشياطين الإنس كما جاء في الحديث :

« **إن المؤمن لينصي شيطانه كما ينصي أحدكم بعيره في السفر** » [(٤)] .

---

(١) إلى ممثلة لمحمود مفلح .

(٢) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢ / ٧٤) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢ / ٣٢٩) .

(٤) رواه أحمد ، ينصي شيطانه : أي يأخذ بناصيته ، فيغلبه ويقهره .

فاكشفوا مخططات الشياطين وافضحوا زورهم وبهتانهم واستقيموا على درب الله تجدوا المدد والعون من الله ﴿ **إِنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾

* * *

رمضان غنم للمؤمن ونقمة للفاجر

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال رسول اللّه ﷺ : **« بمحلوف رسول الله ﷺ ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان ، ولا أتى على المنافقين شهر شرٌ لهم من رمضان وذلك لما يعدّ المؤمنون فيه من القوة للعبادة ، وما يعدّ فيه المنافقون من غفلات الناس وعوراتهم وغَنْم للمؤمن يغتنمه الفاجر »**[1] .

يقسم أبو هريرة رضي اللّه عنه بما أقسم به النبي أنه ما أتى على المسلمين شهر خير لهم من رمضان .... والحديث يفسّر ذلك فقوله ﷺ **« وذلك لما يعدّ المؤمنون فيه من القوة للعبادة »** أي ما يقويهم عليها في رمضان كادخار القوت وما ينفقه على عياله فيه ، وقد فسّره في طريق ثانية بقوله « وذلك أن المؤمن يعدّ فيه القوة للعبادة من النفقة أي لأن اشتغالهم بالعبادة فيه يمنعهم من تحصيل المعاش أو يقلل منه ، فقيام الليل يستدعي النوم بالنهار ، والاعتكاف يستدعي عدم الخروج من المسجد ، وفي هذا تعطيل لأسباب المعاش ، فهم يحصّلون القوت وما يلزم لأولادهم في رمضان قبل حلوله ليتفرغوا فيه للعبادة والإقبال على اللّه عز وجلّ واجتناء ثمرة هذا الموسم ، فهو خير لهم لما اكتسبوا فيه من الأجر العظيم والغفران العميم » .

وقوله ﷺ : **« وما يعدّ فيه المنافقون من غفلات الناس وعوراتهم »** يعني أن المنافقين يستعدون في شهر رمضان للإيذاء بالمسلمين في دنياهم وتتبع عوراتهم أثناء غفلتهم عن الدنيا وانقطاعهم إلى اللّه عز وجل ، فكأن ذلك غنيمة اغتنموها في نظرهم ، ولكنها في الحقيقة شر لهم لو كانوا يعلمون ما أعده اللّه لهم في الآخرة من العذاب المقيم وحرمانهم من فضله العميم نعوذ باللّه من ذلك .

وما أرق هذا الوصف في حق أهل الفن والإعلام الذين يغتنمون موسم الطاعة لصد الناس عن سبيل ربهم وفتنتهم عن طاعة اللّه عز وجل .

---

(١) رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح رقم الحديث (٨٣٥٠) ، وضعفه الألباني ، وفي رواية البيهقي « ونقمة للفاجر » .

قوله ﷺ : « **وغنم للمؤمن** » أي وفوز للمؤمنين بالأجر والثواب الجزيل من غير مشقة كبيرة وذلك لما ينزله اللّه سبحانه على عباده من الرحمات ويفيضه عليهم من النفحات ويوسّع عليهم من الأرزاق والخيرات ويجنبهم فيه من الزلات حيث يفتح لهم أبواب الجنان ويغلق عنهم أبواب النيران ويصفد فيه مردة الجان فهو للأمة ربيعها وللعبادة موسمها وللخيرات سوقها فلا شهر أفضل للمؤمن منه ، ولا عمل يفضل عما فيه ، فهو بحق غنيمة للمؤمن .

« قوله ﷺ « **يغتنمه الفاجر** » وفي رواية البيهقي « **ونقمة للفاجر** » المعنى أن اللّه عز وجل ينتقم منه ويذيقه العذاب الأليم بسوء فعله وإيذائه المؤمنين وتتبع عوراتهم فيكون نقمة له ، وأما المسلم فرمضان غنيمة له بما اكتسبه من صيام أيامه وقيام لياليه والانقطاع إلى اللّه عز وجل بالعبادة فيه »[١] .

يا هذا أنت القتيل بكل من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

إما أن يدعو عليك جبريل ويؤمن على دعائه خليل اللّه المصدوق على دعائه « **يا محمد ، من أدرك شهر رمضان فمات ، فلم يغفر له ، فأُدخل النار ؛ فأبعده اللّه ، قل آمين . فقلت : آمين** » الحديث .

* من خاض البحر اللجاج ولم يطهر فماذا يطهره .

إذا الروض أمسى مجدبا في ربيعه ففي أي حين ينير ويُخْصِب

وإما أن تكون ممن يصلى عليهم اللّه في هذا الشهر من السبَّاقين لقرع أبواب الجنان ، والفوز بالحور الحسان ، والنظر إلى وجه الرحمن ، فنفسك نفسك .. ليس لك نفس غيرها .

* * *

(١) « بين يدي رمضان » للشيخ محمد بن إسماعيل (ص ٧ - ٩) .

رمضان شهر تربية المجتمع

« وذلك أن الصائم حين يرى الناس من حوله صياماً كلهم فإن الصوم يكون يسيراً عليه ، ويحس بالتلاحم مع المجتمع الذي يربطه به جانب عبادي يلتقي عليه الجميع » .

إن الذي يقارن بين صوم النافلة وصوم رمضان يجد أن في صوم النافلة شيئاً من الكلفة بينما يجد أن صوم رمضان المفروض يسير سهل لا كلفة فيه ولا مشقة للسبب الذي سلف ذكره ، حيث أن الصائم في رمضان لا يرى حوله إلا صائمين مثله ، فإن خرج إلى السوق وجد الناس فيه صياماً ، وإن دخل البيت وجد أهله صياماً ، وإنْ ذهب إلى دراسته أو عمله وجد الناس صياماً .. وهكذا فيشعر بمشاركة الجميع له في إمساكه فيكون ذلك عوناً له ومُنْسياً له ما قد يجده من المشقة ولذلك نجد المسلمين الذين يدركهم رمضان في بلاد كافرة دفعتهم الضرورة للذهاب إليها ؛ إما لمرض أو لغيره نجدهم يعانون مشقة ظاهرة في صيام رمضان لأن المجتمع من حولهم مفطرون يأكلون ويشربون وهم مضطرون لمخالطتهم .

إذن فشعور الصائم بأن الناس من حوله يشاركونه عبادته يخفف عليه أمر الصوم ويعينه على تحمله بيسر وسهولة وهذا الأمر ملحوظ حتى في المجتمعات التي لم يبق فيها إلا بقايا قليلة للإسلام ، فإنك تجد آثار رمضان ظاهرة على الجميع حتى الفساق في ذلك المجتمع الذي غلب عليه الفساد يظهر عليهم أثر هذا الشهر الكريم ، وفي ذلك - بلا شك - تربية للمجتمع بجملته .

ومن هنا كانت عناية الإسلام بإصلاح المجتمعات عناية كبيرة ، فالفساد بصفته حوادث فردية لا مناص من وقوعه في المجتمع وقد وقع شيء من تلك الحوادث الفردية في مجتمع الصحابة الأطهار ، فكان هناك من سرق ومن شرب الخمر ومن زنى فهذا الأمر لابد من وقوعه ، لكنّ الذي لا يصح أن يقع في المجتمع المسلم هو أن تعلن المنكرات ويجاهر بها فيتلوث المجتمع العام ويصبح من العسير على الفرد الذي يريد طريق الخير أن يهتدي لأن المجتمع يضغط عليه ويثنيه عن غايته .

ومن هذا المنطلق حرص أعداء الإسلام على إفساد المجتمعات الإسلامية ، ولعلّ من أحدث وسائلهم في ذلك ما يسمى (البث المباشر) وهذه الوسيلة - مع ما يعترض طريقها من صعوبات - متوقعة الحدوث ، ولا ريب أن فيها من الشرور والأخطار على المجتمع الإسلامي فكرياً وعقدياً وأخلاقياً وتقليدياً ما لا يخفى .

فالحاصل أن تربية المجتمع من مقاصد الإسلام ، والصوم من وسائل ذلك ، وأثره في ذلك المجال واضح ولعلّ من مظاهر ذلك - إضافة إلى ما سبق - أنك تجد صغار السن في المجتمع يصومون ، وتجد أهل الفسق يستترون بالعصيان ، وترى الكفار لا يستطيعون أن يعلنوا الأكل والشرب » [1] .

* * *

(١) « دروس رمضان وقفات للصائمين للعودة » (ص ١١ - ١٣) ، دار الصفا - الطبعة الثانية .

رمضان شهر ليلة القدر

وليلة القدر ليلة يفتح فيها الباب ، ويقرب فيها الأحباب ، ويسمع الخطاب ويرد الجواب ويُسنى للعاملين عظيم الأجر .

هي ليلة عتق ومباهاة ، وخدم ومفاجأة ، وقربة ومصافاة .

قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾ [القدر كاملة] .

« الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال . ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى . ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته ، وفي دلالته ، وفي آثاره في حياة البشرية جميعاً ، العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري .

*آيات تكاد ترف وتنير . بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود نور اللّه المشرق في القرآن ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ .

* ونور الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر .

* ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقاً مع نور الوحي ونور الملائكة ، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود ﴿ **سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾ ، قد يكون معناه التقدير والتدبير . وقد يكون معناه القيمة والمقام . وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث العظيم .. حدث القرآن والوحي والرسالة .. ليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد .

وهي خير من ألف شهر . والعدد لايفيد التحديد . في مثل هذه المواضع من القرآن إنما يفيد التكثير . والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر .

فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات .

* والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشري ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ .

هي ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن . وإفاضة هذا النور على الوجود كله . وإسباغ السلام من الله على الضمير البشري والحياة الإنسانية .

وحين ننظر اليوم من وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة المجيدة السعيدة ، ونتصور ذلك المهرجان العجيب الذي شهدته الأرض في هذه الليلة ، ونتدبر حقيقة الأمر الذي تم فيها ، ونتملى آثاره المتطاولة في مراحل الزمان وفي واقع الأرض ، وفي تصورات القلوب والعقول .. فإننا نرى أمراً عظيماً حقاً ، وندرك طرفاً من مغزى هذه الإشارة القرآنية إلى تلك الآية : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ .

لقد فرق فيها من كل أمر حكيم ، وقد وضعت فيها قيم وأسس وموازين ، وقد قررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد أقدار أمم ودول وشعوب ، بل أكثر وأعظم .. أقدار حقائق وأوضاع وقلوب !

ولقد تغفل البشرية - لجهالتها ونكد طالعها - عن قدر ليلة القدر .

وعن حقيقة ذلك الحدث ، وخسرت السعادة والسلام الحقيقي - سلام الضمير ، وسلام البيت وسلام المجتمع - الذي وهبها إياه الإسلام . ولم يعوضها عما فقدت ما فتح عليها من أبواب كل شيء من المادة والحضارة والعمارة ، فهي شقية ، شقية على الرغم من فيض الإنتاج وتوافر وسائل المعاش !

لقد انطفأ النور الجميل الذي أشرق في روحها مرة ، وانطمست الفرحة الوضيئة التي رفت بها وانطلقت إلى الملأ الأعلى ، وغاب السلام الذي فاض على الأرواح والقلوب ، فلم يعوضها شيء عن فرحة الروح ونور السماء وطلاقة الرفرفة إلى عليين » [١] .

ولـيـلـة قَدْرٍ أشـرقـت فـي تـطـلـعـي

إلى الله ، أدعو أستمد الرضا الأعلى

(١) « الظلال » (٦ / ٣٩٤٤ - ٣٩٤٦) .

وأدنو بخفق القلب مِلْءَ ضراعتي
بصمت ، وبعض الصمت من كَلِمٍ أَجْلَى
وأسأل ربَّ الكونُ للكون رحمةً
حناناً .. وإحساناً .. وعافية مُثلى
أيا ليلة القدر السنية ليت لي
شُعاعَ تَجَلٍّ منك يُسعفُ في الجُلّى
ويسمو بهذا الحُبِّ حُرّاً لربِّه
من الملأ الأدنى إلى الملأ الأعلى [1]

قال الزهري : سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها ، من قولهم لفلان قدر أي شرف ومنزلة .

« ليلة القدر : قال مجاهد : ليلة الحكم . وقال سعيد بن جبير : يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم ، فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم » .

قال رجل للحسن وأنا أسمع : رأيت ليلة القدر في كلّ رمضان هي ؟ قال : نعم ، واللّه الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان ، وإنها لليلة القدر « فيها يفرق كل أمر حكيم » فيها يقضي اللّه كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها .

عن ابن عمر : ليلة القدر في كل رمضان .

﴿ وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ .

قال ابن جرير : قال بعضهم معنى ذلك العمل في ليلة القدر بما يرضي اللّه ، خير من العمل في غيرها ألف شهر .

عن مجاهد قال : « عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر » .

---

(١) « قصيدة تطلع إلى شعاع » (ص ٢٩١) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الأميري .

وقال عمرو بن قيس الملائي : « عمل فيها خير من عمل ألف شهر » .

وقال آخرون : معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

عن قتادة : خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وسرد أقوال أخرى ، ثم قال ابن جرير : وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال : عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر » [1] .

قال أبو بكر الورّاق : سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر ، على رسول ذي قدر ، وعلى أمة ذات قدر .

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ .

تنزل الملائكة وجبريل معهم في ليلة القدر من كل أمر قضاه اللّه في تلك السنة ، من رزق وأجل .

قال قتادة : يقضي فيها ما يكون في السنة إلى مثلها .

﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ .

قال ابن جرير : سلام ليلة القدر من الشر كله من أولها إلى طلوع الفجر من ليلتها .

قال قتادة : « هي خير كلها إلى مطلع الفجر » [2] .

عن أنس رضي اللّه عنه قال : « دخل رمضان ، فقال رسول اللّه ﷺ : **إن هذا الشهر قد حضركم ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم** » [3] .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أتاكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، فرض اللّه عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، للّه فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم** » [4] .

---

(١) « تفسير الطبري » (١٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٢) « تفسير الطبري » (١٢ / ٢٦١) .

(٣) حسن : رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١ / ٤١٨ حديث رقم ٩٩٠) .

(٤) حسن : رواه النسائي والبيهقي ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١ / ٤١٨ حديث ٩٨٩) .

هذه ليلة يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كل من جَدّ وسرى ، ويُفك فيها العاني وتطلق الأسْرى .

أخي : يهون العمر كله إلا هذه الليلة .

لقد كان رسولكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ويعتكف ، إلتماساً لتلك الليلة ، كان يواصل ابتغاءً لتلك الليلة .

فيا مَنْ ضاع عمره في لا شيء استدرك ما فات في ليلة القدر فإنها تحسب بالعمر .

شفيت بها قلباً أطيل غليله ... زماناً فكانت ليلة بليالي

وإليك هدايا الملك تزف في هذه الليلة .

يقول الأميري في ليلة القدر :

تَـأَلَّـهَ قَـلْـبـيَ لَمّا سَـجَـدْتُ ... أهيـمُ بمِحْرابِ خَيـرِ الأنامْ
وأرْسِـلُ مِنْ شَفَتَيْهِ الدُّعَـاءَ ... وَجِياً ، وفي السَّمْعِ سَجْعُ الحَمَامْ
وفي أغْيُنِي مِنْ سَنَا اللهِ بَرْقٌ ... يُحَسُّ ، ولكـنَّـهُ لا يُشَـامْ
لَهُ في خَلايايَ دَفْعٌ ورَفْعٌ ... إلي شُرُفَاتِ حِمَىً لا يُرامْ
أغِيبُ ، كَمَنْ نامَ في نَشْوَةٍ ... ونَفْسِي عُيُونُ هَوَىً لا تَنَامْ
وأشْـعُـرُ أنّ كـيـانـي تَمَـدَّدَ ... حتّى تَخَطّى الدُّنَى والحُطَامْ
أقُولُ سمَوْتَ ... وَفَوْقَ السُّمُوِّ ... أقول : ثَمِلْتُ ... ومَا مِـنْ مُدامْ
أقول : آرْتَوَيْتُ ... أجَلْ ، لا ولا ... وكَيْفَ آرْتَوَيْتُ وكُلّـي أوامْ ؟!!
ألَا إنّها نُعْمَيَاتُ التّجَلي ... هُيَامُ سُجُودٍ يَفُوقُ الهُيَامْ
فَسُبْحَانَكَ اللّهُ مِلءَ الوُجُودِ ... ومِلْءَ السُّجُودِ ومِلْءَ القِيَامْ ...

ويرق شعر الأميري ويرق ويعذب في ليلة القدر :

يا رُؤى الإشراقِ في الليلِ المنيرِ ... يا شَذا الرِّضوانِ في الخُلْدِ النَّضيرِ
هلْ لنَفْسي أمَلٌ في نَفْحَةٍ ... مِن فُيوضِ اللهِ ، إنْ لجَّ مسيري
هـذه روحـيَ حـامَـتْ وَلَـهاً ... وتسـامَتْ فـوقَ أجواءِ الأثيرِ
واشرأبّتْ والجوى يَحْفِزُها ... في التماس الأَمَلِ الرّحبِ الأثير
تبتَغي مِن لَيلةِ القَدْرِ سَناً ... لَيْتَها تنعَمُ مِنْهَا بعبِيرِ(١)

(١) « في ليلة القدر » (ص ٩٠ - ١٠٠) من ديوان صفحات ونفحات لعمر بهاء الدين الأميري الطبعة الأولى مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة .

وإليك هدايا الملك الكريم الجواد تزف في هذه الليلة :

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** »[١] .

قال كعب الأحبار : « نجد هذه الليلة حطوطاً تحط الذنوب »[٢] .

لاستحياء ذكرى نزول القرآن في أرواحنا لتظل موصولة بها أبداً حث الرسول ﷺ على قيام هذه الليلة .

والإسلام ليس شكليات ظاهرية ، ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ في القيام في هذه الليلة أن يكون « **إيماناً واحتساباً** » .. وذلك ليكون هذا القيام استحياء للمعاني الكبيرة التي اشتملت عليها هذه الليلة « **إيماناً** » وليكون تجرداً لله وخلوصاً « **واحتساباً** » ..

ومن ثَمَّ تنبض في القلب حقيقة معينة بهذا القيام .. ترتبط بهذا المعنى الذي نزل به القرآن .

والمنهج الإسلامي في التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة في الضمير ، ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها في صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير .

وقد ثبت أن هذا المنهج وحده هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ومنحها الحركة في عالم الضمير وعالم السلوك ، وأن الإدراك النظري وحده لهذه الحقائق بدون مساندة العبادة ، وعن غير طريقها ، لا يقر هذه الحقائق ، ولا يحركها حركة واقعة في حياة الفرد ولا في حياة الجماعة .

وهذا الربط بين ذكرى ليلة القدر وبين القيام فيها إيماناً واحتساباً هو طرف من هذا المنهج الإسلامي الناجح القويم[٣] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) « مختصر قيام الليل » (ص ١٠٩) .

(٣) « الظلال » (٦ / ٣٩٤٦) .

دعا رمضان الخير كل مرابط ... لديه .. فلبى المؤمنون على الإثرِ
وطافت بهم ريحُ الجنان عليلةً ... تهب من الرحمن .. ذائعة النشر
تنفس فيها الخلدُ حين تفتحت ... أزاهيره البيضاءُ في « ليلة القدر »
فطوبى لمن يحظى بشم عبيرها ... فيسجد مغشياً عليه من البشْرِ
ويضرع في حب ويبكي من الجوى ... ويكتم أشواقاً تأجَّجُ كالجمر
ويُصغِي إلى صوت السماء كأنه ... صدى خفقات القلب ينبض في الصدر
صيامُك مفتاح لكل فضيلة ... يزودك التقوى .. ويغريك بالطهر
فقل مخلصاً .. آمنت بالله واستقم ... وأحسن له الأعمال في السر والجهر [1]

ليلة مباركة تشرف فيها الأرض بالملائكة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليلة القدر ليلة السابعة أو التاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى** » [2] .

ما يُدعى به في ليلة القدر :

عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله : أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ، قال : قولي « **اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » [3] .

ليلة القدر :

قال ابن حجر : « وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل . وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الجمهور ليلة سبع وعشرين » [4] .

---

(١) « تأملات في رمضان » (ص ١٤٥ - ١٤٦) من ديوان « نداء الحق » لأحمد محمد الصديق .

(٢) إسناده حسن : رواه أحمد ، والطبراني في الأوسط وابن خزيمة ، والطيالسي . وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، وحسّن إسناده الألباني في « صحيح الجامع » (رقم ٥٣٤٩) ، و « صحيح ابن خزيمة » (٣ / ٣٣٢) .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه الترمذي ، وقال الألباني : إسناده صحيح « المشكاة » (رقم ٢٠٩١) .

(٤) « فتح الباري » (جـ ٤) .

ويقول ابن تيمية رحمه الله :

« ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وتكون في الوتر منها ، لكن الوتر يكون باعتبار الماضي فتطلب ليلة إحدى وعشرين ، وليلة ثلاث وعشرين ، وليلة خمس وعشرين ، وليلة سبع وعشرين ، وليلة تسع وعشرين .

ويكون باعتبار ما بقي كما قال النبي ﷺ : « **التاسعة تبقى لخامسة تبقى لثالثة تبقى** » فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الإشفاع وتكون الاثنين وعشرين تاسعة تبقى ، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى وهكذا .

فسرّه أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح ، وهكذا أقام النبي ﷺ في الشهر ، وإن كان الشهر تسعاً وعشرين ، كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي ، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه كما قال ﷺ : « **تحروها في العشر الأواخر** » ، وتكون في السبع الأواخر أكثر ، وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين ، كما كان أبي بن كعب يحلف أنها ليلة سبع وعشرين » [١] .

إلهي لو أنفقت عمري ساجداً ... أقدس ، ما وفيت حمدك يا ربي
وفي ذروة الإحسان والفضل والجدا ... بذاك بأن أودعت حمدك في قلبي
فظل وجيبي المستمر مقدساً ... عُلاك ، ولو أني مقيم على ذنبي
على أن ذنب المؤمن الحر ينتهي ... إلى التوب..والرحمن يجزي على التوب [٢]

ويرحم الأميري حين يصور صراع الروح والجسم في ليلة القدر :

تضِجُّ برأسي طُيوف العُلى ... ويتَّقِدُ النُّورُ في نَاظِرَي
وَتهتَاجُ حِسّي طُيوبُ البَها ... وتُغْري الخِلاباتُ جسمِي عليّ
فألبَثُ حَيرانَ حَيرانَ منْ ... تَهاتُر هذا وذَيّاك فِيّ
ويَظْهرُ بؤْسي ، ويُهْدَرُ أُنسي ... وَتُصْهَرُ نَفْسي ، مِنْ حَيْرَتَيْ
فيا رَحمة وَسِعَتْ كلَّ شيء ... إليَّ .. إليَّ .. إليَّ .. إليَّ [٣]

---

(١) « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٢٥ / ٢٨٣ - ٢٨٥) ، انظر كتاب « رهبان الليل » وفيه تفصيل عن ليلة القدر وآدابها .

(٢) لعمر بهاء الأميري من ديوان قلب ورب .

(٣) « في ليلة القدر » لعمر بهاء الأميري من ديوان « صفحات ونفحات » .

كان شيخ الإسلام أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري كثير ما يقول في مجلسه وفي غير المجلس : « عفوك يا عفو عفوك ، في المحيا عفوك ، وفي الممات عفوك ، وفي القبور عفوك ، وعند النشور عفوك ، وعند تطاير الصحف عفوك ، وعند ممر الصراط عفوك ، وعند الميزان عفوك ، وفي جميع الأحوال عفوك يا عفو عفوك » . قال أبو عمرو بن أبي جعفر : ورؤي أبو عثمان في المنام بعد وفاته بأيام فقيل له : ماذا انتفعت من أعمالك في الدنيا ؟ فقال : بقولي : عفوك عفوك [١] .

* * *

(١) « فضائل الأوقات للبيهقي » (ص ٢٥٩) تحقيق عدنان القسي طبع مكتبة المنارة بمكة .